

الكتاب الأول

أفراخ الحمام

شوقى عبد الحميد

قصص

المجلس الأعلى للثقافة



الكتاب الأول

- ٢٥ -

أفراخ الحمام

قصص قصيرة

شوقى عبد الحميد يحيى



١٩٩٨

أهداء

إلى س

بعض من أمل كان

إلى أحمد ومنة الله

بعض من أمل .. أود أن يكون

شوقي

بيان على المعلم

الغريب فى الأمر أن كل ماحدث بدا كأنه لايعنى أحداً حتى أنا ذاتى .. فلم يعد يهم .. كأنى أشاهد مسرحية صامتة .

فى البداية .. بدأ الفزع على وجوه بعض الأطفال .. وصرخ البعض .. بينما استغرق البعض الآخر في ضحك ومرح .

يوم شم النسيم فى الحديقة كأنه يوم الزينة .. تتلاصق الأكتاف .. تتداخل الألوان المزركشة . تتطاير البلونات . تتعالى الصيحات والنداءات ، تتطاير روائح البصل والفسيخ .. تسرع الشمس نحو منتصف السماء .. تجمع الأطفال فى صفوف وسط هذا الزحام من الأشياء التى تتطلب مجهودا عظيما وكم عارضت أن تقوم رحلة الأطفال فى مثل هذا اليوم .. أصرت إدارة المدرسة .. طالبتُ أن يكون هناك آخرون معى .. تعلل البعض إنه يوم أجازة .

وقال آخر أنه لابد أن يكون بجوار الأولاد فى بيته فى مثل هذا اليوم .. وزعم آخر إنه يسافر إلى أهله فى القرية فى مثل هذه الأيام .. استفز الحارس الأسد ، فصرخ صرخته المدوية .. اهتزت أركان الحديقة

وانتبهت كل الحيوانات .. تدافع الصبية نحو القفص .. أقلتُ «قفص» ؟ ربما .. فهكذا يسمونه فى الحديقة .. أو كانوا يسمونه قبل أن يحدث ما حدث .. وربما كانت الأمور قد تبدلت .. تجمع بعض الصبية من أطفال الرحلة .. وبعض الاطفال الآخرين ، وقفت أشرح لهم بعض المعلومات عن ملك الغابة ، وكيف استطاع المسئولون عن الحديقة اصطياده من الغابة ، كيف أتوا به ليصبح حبيس القضبان الحديدية ، ليصبح (فرجة) للأطفال ، رغم أنه فى مملكته .. فى الغابة .. ما إن يظهر حتى تقفز وتفر بقية الحيوانات رعباً من المواجهة .. إلا أنه عندما يكون جائعا ، فلابد أن يتخير أيها يكون فريسة اليوم .. بينما هو اليوم .. بعد ترويضه .. لايأكل الا ما يقدمه له الحارس وفى الميعاد الذى يحدده الحارس .. كنت أواجه الصبية وظهرى للقضبان .. لم أكن أعلم على وجه التحديد ، أين كان الحارس .. بل كيف كانت القضبان .. ربما كان قد أشتد به الجوع .. فأنا ايضا - أعلم أن الحارس فى بعض الإحيان - قد يمتنع عن تقديم الوجبة له ، حتى يستطيع أن يستغل ذلك أمام ضيوف الحديقة . البقشيش .. وربما كان قد استطاع كسر قضبان القفص بقوته المعهودة من جانب وبقوة الجوع من جانب آخر .. وربما كانت هناك نقطة ضعف فى هذا القضيب بالذات لم يتنبه إليها أحد .. أم تراها كانت مؤامرة مدبرة لإضحاك الصبية والزوار اجتلابا لمزيد من المنح والعطايا ؟ وربما كانت مؤامرة أيضا .. لتخويف الاطفال فلا يقتربون من قفص الأسد ومضايقته .. المهم .. خرجت يد الأسد الجبارة من بين القضبان الحديدية لتدفعنى من ياقة القميص مع بعض لحم الكتف .. وأدخلنى داخل القضبان ..

وتركنى لأهوى على الأرض ، وقف الصبية فى ذهول .. فى البداية لم أنزعج .. تخيلت الأمر إيضاح عملى للأطفال عن دور الأسد وحياته في الغابة ، وكيف كان يلتهم فريسته .. حاولت الابتسام حتى لاينزعج الأطفال .. حاولت أن أكون طبيعيا .. وأستمر فى الشرح .. إلا أنه عندما انفتح فم الأسد ووضحت أسنانه الضخمة المرعبة .. ساورنى شيء من الانزعاج .. فربما تحولت الأضحوكة إلى حقيقة ويكون الأسد قد عاده الحنين إلى حياة الغابة . فقد سمعت عن الأسد الذى التهم مدربه فى السيرك .. إلا أنه عاد وحزن على مافعل .. وأحالوه إلى الاستيداع .. حاولت النهوض .. حاولت أن أكون طبيعيا . . وأستمر فى الشرح .. إلا أنه كان يتهادى نحوى .. نظراته عنيفة مخيفة .. يتطاير منها الشرر ويبرز فيها الانتقام تراجعت إلى ركن القفص .. انغرست أسنانه عنيفة فى ساقى .. انخلعت منى صرخة مدوية .. وربما كانت أعلى من صرخة الأسد ذاته .. شعرت بالدوار وتعالت صرخات الأطفال .. إلا أنهم تفرقوا مبتعدين عن القفص فى كل اتجاه .. وجلس فى ركن بعيد يأكل فى الساق .. شاهدت دما ينزف منى غزيرا .. عنده فقط بدأت أشعر بالخوف ينتزع كيانى ويحطم أعضائى .. جلس فى هدوء يمضغ فى الساق .. بينما راحت خيوط الدم ترسم أشكالا متداخلة في مسارات على أرض القفص تلك كانت وصيتك - يا أبى .. قلت كثيرا أننى لا أصلح أن أكون معلما .. ولا أصلح أن أكون معلما للأطفال بصفة خاصة .. فأنا لا أحب الأطفال .. أقصد لا أجيد التعامل مع الأطفال .. لكنى : رغما عنى كنت كما تحب .. يكفى أنها رغبتك .. لم تعد مهمة المعلم مقدسة

كما كان على أيامكم .. ماذا يريد هذا الأسد أن يفعل من جديد ؟ .. إنه بالتأكيد لم يشبع بعد .. ينهض فى تثاقل .. لقد بدأ الخوف بالفعل يحطمنى .. يتجه نحوى .. ترتعد فرائصى من الرعب .. أحاول التراجع .. آه .. لا أقوى على المقاومة .. ينفتح فمه من جديد .. أسنانه مخيفة .. كيف يمكن أن تنغرس كل هذه الأسنان فى لحمى .. تنغرس الأنياب فى عضو الذكورة .. صرخت بأعلى صوتى .. تدافعت ضربات يدى على أنفه .. لم يأبه لمحاولاتى .. لا يبدو أى أثر لمقاومتى .. لم يتحرك أحد .. بدأ الإجهاد يسرى بالتنميل فى جسدى .. التهم العضو تماما .. انتابتنى شبه غيبوبة .. إلا أننى لم أغب عن الوعى .. فى شبه ذهول أتابعه .. يمضغ العضو بتلذذ وأناة ... سرى الخور فى كل أعضائى .. انتابت بعض الصبية من البنات حمرة خجل خفيفة .. ابتسمن فى الخفاء .. أسرعن مع بقية الأطفال .. لم يعد المشهد يغرى بعض الصبية وبعض المارة .. تدافعوا لمشاهدة القرود فى القفص الآخر .. يقذف البعض منهم حبات السودانى للقرود .. تتعالى صيحات الآخرين فى مرح صبيانى .. كان التلاميذ على أيامكم كبارا .. كانوا فى المدرسة الابتدائية وقد نبتت شواربهم .. الأمر أصبح جد مختلف . لم يزل فى أذنى الحماس فى صوتك وأنت تحكى عن التلاميذ الذين تركوا المدارس لينضموا إلى المقاومة فى الإسماعيلية .. عن التلاميذ الذين كانوا يرفعون المعلم على الأعناق فى المظاهرات ضد الاحتلال .. عن التلاميذ الذين انفتح عليهم كوبرى عباس ... عن التلاميذ الذين ... ولكن .. وكان المعلمون .. يا أبى قلة يشار إليهم .. أما .. ألم تكن أنت الذى علمتنى دوما أن

أعيش هذه المقارنات ؟ لازال الحارس لاوجود له .. جلس يمضغ فى هدوء وارتياح .. بل أستطيع أن أحدد فى عيونه نظرات التشفى والانتقام .. تداخلت الصور والأخيله .. ولماذا لا أنتهز الموقف فى عمل لم يسبق إليه أحد ؟ .. لما لا أكون يونس العصر ؟ ستكون الرحلة مثيرة .. أن أكون أول مكتشف للأعضاء وهى تعمل .. البلعوم .. الأمعاء .. الاثنى عشر .. الغريب أنه لم يعد مزيد من الدماء تسيل .. انتظرت أن ينهض الأسد من جديد .. سوف لاتتم الرحلة الابالتهام الرأس .. بأجهزتها أستطيع أن أسجل ذكريات الرحلة .. لابد ستكشف عن عالم مدهش داخل أعضاء الملك .. إلا أنه ظل ساكنا .. أتراه قد أخذ كفايته من الطعام ؟ أهذا كل غذاء الملك ؟ .. أيكون لزاما على أن انتظر هكذا حتى يجوع من جديد .. تدافعت جموع الصبية نحو الجبلاية .. ترى من سيتولى الشرح لهم هناك .. أحاول النهوض تنهار قواى .. أسقط على وجهى .. تنازعنى الرغبات .. أن أتم الرحلة فى الأمعاء .. وأن أتمها مع الأطفال ومن تراه سيسلم الأطفال إلى ذويهم .. إلا أنهم لم يلحظوا غيابى .. الغريب فى الأمر .. أن كل ما حدث بدا كأنه لايعنى احدا .. حتى أنا ذاتى .. فقدت الانبهار انتظر أن يتحرك الأسد .. أو يتحرك الحارس .. أو حتى يتحرك العضو من جديد ..ولكن .. يبدو أن المسرحية كانت هزلية .

فى انتظار القادم

لم يكن لى سابق خبره بمثل هذه المواقف .. فماذا أفعل وحدى .. لابد من استدعاء أحد .. ولتكن أم حسين .. لو كنت أستطيع لانتزعته بيدى دون أن يتدخل أحد .. ودون أن يدرى بنا أحد ، إلا أنه فى مثل هذه الأمور لابد أن يتدخل أحد .. زوجة البواب هى .. إلا إنها مرت بالتجربة سبع مرات على ما أرى .. بلهفة الشوق والترقب اقتدتها إلى حجرة النوم حيث كانت زوجتى بين الوقوف والجلوس .. فمنذ فترة غير قصيرة لم تقو على التزام الفراش .. ظلت بين الحجرة والحمام .. طلبت منى أم حسين وهى تشمر عن ساعد الجد وبخبرة المرات السبع أن أسرع فى إعداد ماء ساخن .. سألتنى عن الطست الكبير وكنت قد سمعت عن أنه فى مثل هذه الحالات تكون كمية المياه كبيرة ، ولهذا كانت الحاجة إلى الطست الكبير .. إلا أننى لم أفهم معنى وجود الماء الساخن رغم أن يوليو كاد أن ينتصف .. سرت قشعريرة خوف عند سماع آه . عرضتها على للزواج .. جميلة كانت .. تتصف بكل ما تحلم به فى من تختارها شريكة لحياتى .. لست أقول فيها شيئاً يا أمى .. لكنى لا أصلح للزواج .. سآتيكِ بالحفيد من بنات أفكارى .. ترى أحان الوقت حقاً ؟؟

منذ بداية الحمل ، كانت لها تطلعات برجوازية ، حلمت كثيراً - فى يقظتها - أنها تضع مولودها فى أحد المستشفيات الكبيرة .. وكنا نضحك من أحلامها الكبيرة .. أخبرتها أن جدتى وضعت من الأولاد تسعاً ، ومن البنات أربعة .. ولم يدخل بيتهم طبيب الصحة إلا يوم وفاة جدى .. تأرجحت بين الصالة وحجرة النوم .. أبحث عن لاشىء ، وكانت كلما تقدمت بها شهور الحمل .. تزداد خوفاً وأزداد شوقاً وحنيناً ، أحلم بالوليد وبالسند . لابد أن يحمل عنى الرسالة .. لابد أن ألقنه فى الصغر كل مالم استطعه .. تتفتق جدران صناديق الذكرى عن خيالات لامرئية .. يتشكل وجه أبى قمحى البشرة ، نحيل القوام ، ترتسم تجاعيد السنون على جبهته . مكدوداً لم يزل بعد معركة الحدود الشرقية مع صاحب الحقل المجاور ... محروس المرسى .. ذلك الفحل القميىء الطلعة .. اندفع نحو أبى وألقاه أرضاً فى الطين وتدافع من خلفه أبناؤه .. ووقفت أبكى .. لم أفعل شيئاً .. أحلامك دوماً يا أبى كانت تكبرنى .. ولم أستطع أن أحقق لك أى منها .

الأنين بالداخل بدأ يتعالى ... تتقارب نوباته .. أندفع إلى الداخل . أكتم أنفاسها كى لا يخرج الصراخ إلى خارج الجدران .. فللجدران آذان ، يجب أن لايعلم أحد بما يحدث .. فليتم كل شىء أولا .. وليكون بعد ذلك ما يكون ، لابد أولا أن يكون ولداً .. هو الذى يستطيع .. تسلل الطفل الصغير فى المساء إلى معسكر الأعداء - فى تمثيلية المذياع - وقذف بكرة اللهب فاشتعل المعسكر .. فى الصباح عندما علم الزملاء

الصغار بما فعل ، اندفعوا إليه مرددين الهتافات .. عاش البطل هشام .. عـاش البطل هشـام .. يـومـهـا .. تقرر أن يكون المولود الأول .. هشام .

تحاول أن تنتزع ابتسامة .. تتأرجح نظراتها الكسيرة بينى وبين سقف الحجرة فى شبه عتاب .. ألم نحلم به سوياً .. أما آن لصبر السنين أن تتمخض عن واحة يؤب إليها المنهكون .. يأتى المولود دائماً فى الشهر التاسع غير أننا تزوجنا من سبع سنين .. ظلت أمى تلاحقنى .. تريد أن ترى لها حفيداً يسير على الأرض .. كما كان يحلم أبى .. تذكرنى بأحلام .. بطون كتب التاريخ والفلسفة .. ولكن ها أنذا ياأمى .. آتيك بالحفيد من عصير أحشائى .. طفل يحبو ويصرخ .. يمشى ويتألم .. يجوع ويعرى .. بعد أن بقرت بطون جميع الكتب فلم تسفر إلا عن حمل كاذب .. فوأدت جميع بنات أفكارى .. وآه يا أمى لو تعلمين على يد من يخرج حفيدك .. ليتك يا أمى كنت الآن معها .. الصرخة تهز كيانى .. تعتصر أعماقى .. تتدافع فى موجات متلاحقة على سطح الليل .. تتوالى الصرخات .. أمسك بالساقين .. تتوالى .. أحكم قبض الساقين .. تتألم .. تتماوج عضلات البطن .. ينكسر صمت الليل .. تتدافع حبات العرق .. يبدو شيئاً أسود .. بدأ ظهور المولود .. تندفع النشوى فى الأوصال .. تخرج الرأس كاملة .. تزداد الصرخات .. أحاول أجذبه بيدى .. تنشل اليد عن الحركة .. لا أقوى على جذب المولود .. لا أقوى على فعل شىء .. توقفت الرأس بالخارج .. انحشر الجسد بالداخل .. تتألم .. أرتجف .. تندفع الصرخات .. أستبين الاستجداء ..

والخوف .. أحاول الضغط على جدار البطن المنتفخ .. تنشل الحركة بيدى .. تتماوج جدران البطن .. لاشىء يخرج .. تمر اللحظات بطيئة .. قاتلة .. الطبيب .. لابد من وجود الطبيب .. أندفع للخارج .. أجوب الطرقات .. أبحث عن طبيب . أى طبيب !!!

البغل ليس فى الابريق

وانفجرت

كل مشاعرى غيظاً وحنيناً .. والتحمت كل أحاسيس الشوق والحنق فى الأعناق .. عاتبته .. كلمته طويلا .. طلبت أن يفسر لى سبب الغياب .. أين كان .. إلا أنه عندما أراد الحديث ، لم أستطع تبيان ما يقول .. صرخت كلمات أمى فى الأفق البعيد قائلة .. فلتتزوج إبنة خالتك .. هى منا وتعرفنا ونعرفها .. قلت يا أمى العلم يمنع زواج الأقارب ، وقال أبى .. تزوج من القرية .. تعرف طباعنا ونعرف طباعها .. قلت يا أبى أأظل طوال عمرى فى الطين .. أريد إبنة الأضواء تكون لى عوناً عندما تضيىء الأضواء عيونى فربما لا أرى من وهجها ، وتلألأت الأضواء فى الأفق البعيد .. أعطيت ظهرى للطين .. لم أكن اتصور أنى مزروع فيه .. انغرست أقدامى فيه ، وكلما حاولت نزعها ، شعرت أنى سأخرج بدونها .. وقديماً قالوا .. قد تستطيع نزع الريفى من الريف ، إلا أنك لاتستطيع أن تنتزع الريف من الريفى .

لم يخطر

ببالى أنه من الممكن أن يأتى إلى هنا .. لم يولد هنا .. ولم يأت إليها يوماً .. وحتى هذه اللحظة لست أعرف على وجه التحديد ما الذى أتى به إلى هناك .. تماماً .. كما لم أتوقع أن يأتى يوماً .. هكذا .. إلا أنه رغم كل شىء .. هو بعضى .. هو منى .. وكيف أستطيع التخلى عنه .. لابد من البحث .

فى البداية

بحثت عنه فى شوارع المدينة .. فى حواريها وأزقتها .. وكان البعض يبحث معى .. منهم من قال إنه رآه منذ يوم .. ومنهم من قال أنه رآه منذ ساعة .. ومنهم من قال أنه رآه بجوار الحائط الخارجى للمسجد .. ومنهم من قال أنه رآه على شريط السكة الحديد .. لم أترك مكاناً فى المدينة ، جبت الصحارى بحثاً .. دخلت بلاداً غريبة .. تحدثت طويلا عن صفاته أمام أهل كل بلد .. كانوا يستمعون إلى طويلا فى شبه اهتمام .. ثم .. ثم ينصرفون .. ربما يكون أحدهم قد لوى شفتيه .. أو مط {بوزه} أو أتى بأى حركة .. إلا أننى لم أسمع جواباً .. لم ينطق أحد .. اندفعت كالمجنون فى بلاد أخرى .. أحدث المارة والقاعدين .. والواقفين .. إنه منى .. وذهب عنى .. كيف يكون منى ويهرب منى .. طلبت منها أن تبحث معى .. أليس منها هى أيضاً .. انخرس لسانها وشلت حركتها .. ربما كانت أعماقها تبحث عن شىء هى الأخرى .. تجمعت ذكريات السنين .. هل تلاشى ذلك الحب الذى كان .. كم تحرقت

شوقاً إليها فى ليالى الصد والسهد .. لكم بثتنى لواعج نفسها في لحظات الوجد والهيام .. كم بنينا فى الخيال بيوتا زيناها بزهور السوسن وتدفأنا فى ليالى شتائها بحرارة اللقاء .. ودفء الأنفاس .. وفى ليلة الزفاف .. كان الجميع يحسدوننى .. طلب يدها كثيرون .. طلب ودها عديدون .. بهرهم جميعاً ضوء القمر فى عينها .. وابتسامة الإشراق على ثغرها .. وكانت تداعب الجميع .. فكانت أحلام الجميع .. قلت أن هذه هى المواصفات التى لابد ستروق أمى .. ستعوضها عن تركى لابنة أختها .. وكان الشرط الوحيد الذى تجاسرت وعرضته هو أن نعيش فى قريتنا .. لم أكن لأتصور أن ترحب بكل هذه السهولة .. بل أضافت أنه شرطها الأول .

فى البداية

بهرتها حياتنا ... بحثنا معاً عن عيدان السريس والجعضيض وسط عيدان البرسيم .. تضاحكنا كثيراً .. وجرينا كثيراً .. وتمرغنا فوق عيدان البرسيم .. حاولت أن تحلب الجاموسة مع أمى .. لم يكن حبا فقط .. بل كان عشقاً .. عشت الحياة فيها .. تنشقت عبير الوجود .. فى أنفاسها . تنشقت فيها وجداً وغراماً .. لم أعد أرى إلا بعينيها أصبحت أقرأ فى عينيها كل كنوز الكتب والطبيعة .. وأصبحت أسمع بأذنيها حفيف كل الأشجار فى صباح الربيع الندى وأصبحت فى عينى كل نساء الأرض .. وكل ملكات الإبداع الخلاق .

عندما

ضاقت ملابسها حول بطنها .. تغيرت الأحوال .. لم تعد تقدر على الجرى معى وسط عيدان البرسيم .. ولم تكن تتمرغ فوق نداه .. لم تعد تقـو على الجلوس أسفل الجاموسة لحلب اللبن .. وانفردت أمى بكل الأعمال من جديد .. وجلست هى تنتظر .. وفى يوم شتوى ممطر انغرست ساقها فى وحل الشارع .. انكفأت على وجهها .. ارتعدت ملامحها خوفاً على القادم .. أقسمت ألا تعيش فى القرية إلا بعد رصف شوارعها

لم يكن

ليراه أحد إلا ويصيبه وجوم ويعلو وجهه التساؤل .. من أين أتى هذا المخلوق .. خمن البعض أنه لابد فى شجرة العائلة أصل لهذا الفرع .. وقالت الجدة العجوز .. (العرق يمد لسابع جد) .. لم تعرف أمى الشماته .. وقالت .. كيف .. وأعز الولد ولد الولد .. وترددت في حوارى القرية أنها يوم وقعت فى الطين لبسها جنى وشوه ما بداخلها .. كان يريدها لنفسه .. ومن قائل .. هى بنت ذوات صحيح .. من بره .. ولكن من جوه .. الله أعلم ، ومن قائل (من خرج من داره اتقل مقداره) .

بحثت

ونقبت طويلا .. تعبت قدماى .. مللت البحث .. هفت نفسى إلى الخلود للراحة .. وعدت إلى القرية .. بحثت عن حضن أمى .. وعند جسر الترعة .. وجدته هناك .. ولم أكن أتوقع أن يكون هناك .. وكان يعبث فى الطين .. عاتبته .. كلمته طويلا .. طلبت أن يفسر لى سبب الغياب .. أين كان .. إلا أنه عندما أراد الحديث .. لم استطع تبيان ما يقول .. فقد كان حديثه خليط بين الإنجليزية والروسية .. رغم أنه لم يتعلم .. حتى العربية !!!

حافظ بك ... بعيدا عن الزحام

شروق

(١)

عندما رُقّى الأستاذ حافظ عفيفى إلى رئيس لقسم المحفوظات بديوان عام وزارة الأوقاف احتل مكتبه مكان الصدارة من الحجرة التى كانت تضم معه سبعة من الموظفين والموظفات الذين لم يعودوا لمناداته باسمه مجردا .. فى البداية اعترض على تغيير اللقب ، ثم ... استسلم .

(٢)

وعندما أصبح الأستاذ حافظ مديرا للإدارة ؛ انتقل إلى حجرة أخرى ؛ وكان معه بها ثلاثة أفراد فقط من زملائه القدامى بالديوان . بعدها لم يعد أحد يناديه إلا .. الأستاذ حافظ .

همس البعض فى أذنه أن وضعه يجب أن يميز ، ويجِب ضرورة وضع (برافان) ليفصل بينه وبين الآخرين بالحجرة ؛ تحرج الأستاذ حافظ فى البداية .. وفى النهاية .. اقتنع .

(٣)

ولم يكن الأمر يحتاج إلى إقناع .. فقد كان لديه الاقتناع عندما صدرت القرارات وأصبح الأستاذ حافظ عفيفى مديرا عاما لأحد شئون مكتب الوزير ، فقد كان الوضع الطبيعى أن يشغل الحجرة المخصصة بالدرجة والتمتع بامتياز التنقل بالسيارة النصر ١٢٨ ، وكذلك كان طبيعيا أن يصبح اسمه .. حافظ بيه .

(٤)

على الرغم من أن حافظ بيه لم يكن يميل كثيرا - منذ الصغر - للتكلف بينه وبين الآخرين ، إلا أنه أيضا لم يكن يحب أن يرفع الكلفة بينه وبينهم ، وقد عرف الجميع عنه ذلك ؛ إلا أن الظرف هو الذى فرض على الأستاذ محفوظ الزميل القديم أن يناديه باسمه مجرداً ، وعلى الرغم من أن الأستاذ محفوظ كان يحاول أن يواسى حافظ بيه فيما ظنه يحتاج إلى مواساة عندما صدرت قرارات الترقيات ورُقَى الأستاذ عبد السميع إلى درجة وكيل الوزارة متخطيا حافظ بيه .. ثار حافظ بيه فى وجه الزميل القديم ؛ وتحول الموقف إلى معركة حامية من التذكير بالماضى وكشف بعض المستور من تصرفات البدايات ؛ وتحت الضغوط والوساطات والتوسطات .. تنازل حافظ بيه عن توقيع الجزاء على الأستاذ محفوظ ؛ واكتفى بنقله خارج الإدارة .

المرايا

(١)

لم يكن وصوله إلى كرسى الوزارة بالشىء المستبعد لدى كل من عرفه ؛ فقد كان مثال الطهر والأمانة والجدية فى العمل ؛ ولم يُضبط يوما متلبسا بدعابة أو فى جلسة حظ ؛ وعندما تولى كرسى الوزارة وبدأ البحث في ملفاته القديمة من بعض العاملين بالوزارة تبين لهم أنه كان مجدا مجتهدا فى دراسته ؛ بل وكان من بين الأوائل فى العديد من السنوات واكتشفوا العديد من عاداته ومعتقداته .. ماذا يحب وماذا يكره ..، ومن أغرب ما اكتشفوه فى شخصيته الغامضة ، حبه الشديد .. للمرايا ؛ حتى أن بعضهم عندما قدم له هدية فى إحدى المناسبات العديدة .. قدم إليه مرآة يحوطها برواز مفضض . وبعد ذلك لم يعد الأمر خافيا عن كل ذى عين . فمنذ أن ارتقى فى السلم الوظيفى وأصبح له حمام منفصل عن الحجرة مستقل به وحده .. وضع له سعاة المكتب مرآة بحجم الكتاب المفتوح فى الحمام .. وكان يطيل النظر إليها كلما شعر بالرغبة فى دخول الحمام .. والحقيقة أن من يتابعه فى هذه التأملات الطويلة سوف يكتشف أنه لايبحث عن ضبط الهندام بقدر ما كان ينظر إلى شىء بعيد .. غير محدد .

وعندما كان وكيلا للمصلحة كانت المرآة فى حجم الكتابين المفتوحين معا ، وعندما أصبح رئيسا للمصلحة إتسعت المرآة حتى أصبحت تكشف عن النصف الأعلى من الجسد .

ومنذ صدور قرار التشكيل .. والمهتمون بشئون مكتب السيد الوزير فى شغل وتفكير .. وكان من أول ما فكروا فيه من تجهيزات خاصة باستقبال سيادته وضع المرآة .. اقترح البعض أن تكون المرآة بإرتفاع متر كامل في الحمام الخاص .. بينما رأى آخرون أن تمتد المرآة لتصبح حوائط الحمام بأكملها بالمرايا من الجهات الأربع ؛ بينما انتصر الرأى الذى اقترح خروج المرآة من دائرة الحمام فقط وتوسيع الدائرة لتشمل جزءا من المكتب حتى يستطيع سيادته أن ينظر إليها وهو جالس على مكتبه .

(٢)

بعد الإعلان عن التشكيل الوزارى من جديد وإجراء التغيير المحدود . هدأت أعصاب القائمين على مكتب السيد الوزير .. وكان الأمر يتطلب ضرورة إعادة ترتيب البيت من جديد .. زيادة فى هذا المدخل .. وتغيير فى هذه المقاعد ، مع إعادة الطلاء من جديد ، ووضع مرآة جديدة علي الواجهة الجانبية للحائط الملاصق لسيادته ، ومع توالى التغييرات والتشكيلات الوزارية أصبحت الحجرة شبه مغطاة بالمرايا .. وتنوعت أشكالها .. فهذه مستوية وتلك مقعرة وهذه محدبة .. واحدة تظهر السيد الوزير - وكل من يقف أمامها بالطبع - بالحجم الطبيعى ؛ وأخرى لم يكن السيد الوزير ينظر إليها إلا وانتابته حالة من الضحك المسموع فى البداية والذي أخذ في الخفوت حتى أصبحت مجرد ابتسامه ..فتلاشت الابتسامة واعتاد سيادته النظر إليها وعندما كان الظل يقع

عند حواف المرايا المتلاصقة كانت تخلق العجيب والغريب وغير الموجود - في السيد الوزير . فبينما كان يظهر جزء من الأنف على إحدى المرايا كان الجزء الآخر يظهر على المرآة الأخرى . فيبدو الأنف وكأنه لايقل عن المتر ... حتى أن سيادته كلما خلا إلى نفسه وأرهقه العمل راح يلعب مع نفسه هذه اللعبة .. يقف عند ملتقى المرايا .. ويحاول أن ينعكس كل جزء من جسده على كلا المرآتين معا .. يضحك فى البداية .. يذهب عناء العمل فيعود لاستئناف الشقاء والدفن بين الأوراق ومشاكل الوزارة .

وعندما دخل عليه سكرتيره الخاص ذات مرة ورآه يمارس هوايته .. ضحك السكرتير عاليا .. لكنه سرعان ما تبين موقفه . انحشرت الضحكة وتحولت إلى ابتسامه .. حاول السيد الوزير أن يوضح فلسفة هذه الوقفة وهذه المحاولة .. تظاهر السكرتير بالاقتناع وأخذ فى الثناء على الفلسفة البعيدة لسيادته والتفانى فى كيفية الاستغراق فى العمل رغم ضخامة المجهودات المبذولة .

تكرر دخول السكرتير ليجد سيادة الوزير يمارس هوايته المفضلة عند حافتى المرايا .. حتى اقتنع بعمق فلسفة الفعلة .

راح السكرتير يهمس بها إلي بعض من العاملين فى محاولة لإقناعهم بمدى ما يبذله السيد الوزير من مجهودات للعمل .. بل إنه لم يتردد فى شرح الفكرة أمام أحد الصحفيين المرابطين بمكتب السيد الوزير .. الذى رآها فكرة جديرة بإلقاء الضوء عليها من خلال الصحافة ..

شاع الخبر وانتشر حتى وصل إلى السيد رئيس الوزراء الذي استطلع الأمر .. فهمست له التقارير بأن المسألة قد جاوزت الحد .. وأصبحت الظاهرة ظاهرة مرضية لدى السيد الوزير .. رفع السيد رئيس الوزراء الأمر إلى السيد الرئيس ..

وعندما أعلن التشكيل من جديد وإجراء تغيير محدود فى الوزراء .. بحثوا عن اسم معالى حافظ بك .. غير أنه لم يكن موجودا .

غروب

لم يكن حافظ بك عفيفى ليقود بنفسه السيارة .. إلا أن الأمر كان شخصيا تماما .. وربما لم يشأ أن يُطلع عليه سائقه الخاص أو أن يصطحب معه سكرتيره الخاص ولم يكن ليقود بنفسه السيارة ؛ إلا بعد أن يتولاها السائق بالبحث والفحص ..

غير أن الأمر كان مفاجئا .. فلم يكن هناك من فرصة للفحص والمراجعة ؛ وعلى الفور استقل حافظ بك عفيفى سيارته المجددة .

فى البداية لم يجد صعوبة فى اختراق شوارع الحى الهادىء الذى يعيش فيه ؛ حتى وصل إلى الطريق الرئيسى ؛ فأبطأ من سرعة سيارته ، وما أن وصل إلى ميدان الجيزة حتى كان الزحام قد بلغ مبلغه . اخترق أرتال السيارات وأفراد المارة وتفادى الاصطدام أكثر من مرة . وعلى طريق الأهرام ؛ كانت السيارات قد قلت قليلا فبدأ السير بسرعة أكثر ؛ وما إن وصل إلى نهاية طريق الأهرام حتى كانت السيارات العامة قد

امتنعت تقريبا ولم يعد يسابقه سوى السيارات الخاصة . فما إن بدأ الطريق الصحراوى حتى كانت الحركة على الطريق أقل كثيراً ؛ الأمر الذى مكنه من الانطلاق بسرعة السيارة كاملة .. ولم يكن قد وصل بعد إلى نحو منتصف المسافة علي الطريق الصحراوى حتى شعر أن السيارة تقاوم المسير .. وكأن شيئا يمسكها إلي الأرض .. بالإضافة إلى بعض الأصوات التى بدأت تظهر من أسفلها ؛ استمر حافظ بك .. إلا أن شيئا يعوق مسيرة السيارة ؛ لم يجد بدا من التوقف ليرى ماذا يحدث ؛ وكانت شمس يوليو قد أرسلت أشعتها الحادة تلفح رأسه ؛ رغم أنها كانت قد بدأت الزحف نحو المغيب .

اكتشف حافظ بك أن إحدى العجلات كانت قد أفرغت هواءها تماما .

وبعد أن كان العرق المتصبب من حافظ بك قد تساقط على عينيه بما يشبه ماء النار . كان قد أتم تغيير (الإستبن) ؛ غير أنه ما أن هبطت السيارة إلي الأرض حتى تبين له أن (الإستبن) فارغ هو الآخر .

وبعد أن كان الإعياء قد أخذ منه حدا بعيداً ؛ حاول حافظ بك أن يوقف أيا من السيارات المارة .. إلا أن سيارة واحدة لم تُبدْ بادرة أمل بالتوقف أو حتى تهدئة سرعتها الهائلة .

أخذ حافظ بك ينظر إلي السيارات المارة كلمح البصر من أمامه تارة؛ وأخرى ينظر حوله للصحراء المترامية وامتدادات الرمال على مرمى البصر .. وكانت بعض المآذن تبدو على البعد من داخل المدينة .

أفراخ الحمام
تكسر جدران البيض والبكارة

هــو :

انزاحت الشمس قليلا عن أسطح المنازل ، وبدأت تسلط أشعتها الواهنة على الرؤوس .. فرغ الرجال من صلاتهم وبدأوا يتوافدون .. اصطفت كل عائلة أمام شاهدها .. بدأت التمتمات والتراتيل .. تقافز الاولاد والبنات يطلبون الرحمات .. راح البعض يتنقل بين المشاهد .. يتوقف عند البعض منها مصافحا متمتما .. بدأت فلول النسوة المتبقين تنسحب إلى خارج الساحة .. انعكست أبعاد اليوم على الوجوه والأحاديث .. ولم يكن (ربيع) ليهتم بمثل هذا الأمر كثيرا .. رغم ما حاول أن يلعبه فيه من دور .. الا أن ابتسامة ودودة على الوجه الأسمر بدت فى المخيلة .. تحطمت أمامها كل الأبعاد .. أزاحت كل الشواغل .. الخبر غير الأكيد عن الاستدعاء .. والصول عبد الرحمن وطلبة التعيين .. الرائد محمد عبد القادر والتشجير أمام حجرته داخل القشلاق .. العريف مندوه والخدمة الليلية .. من يزامل أباه هذا العام فى حرث قراريط القمح .. السعر الذى ستأخذ الحكومة به القطن هذا العام .

هــى :

انزرعت حبات أمل بين طيات الطين وأثمرت بذور القمح .. سنابل ذات أشواك .. تمايلت السنابل مع هبات نسيم صيف رطب .. امتلات الاجران بأكوام حطب وغبار .. لمت النسوة بقايا الخبز والجبن ، استرخى الرجال يشعلون بقايا سجائرهم .. اعتلى قرص القمر منبر الصلوات وراح يفرش نوره على الكائنات .. دعته (فوزيه) .. نفض عن جلبابه تراب الأجران وبقايا السباخ الطينية .. جفف حبات عرق يوم طويل مضن .. طلب منها أن يلعب الجميع الاستغماية .. خشيت الاختفاء بعيدا .. كانت توده إلى جوارها .. علمته يسقي شقوق الأراضى البور .. أطعمته ثمار التوت والجميز على جسور الترع .. طلبت أن يلعبوا زفة العروسة .. اعترض لأنه يريدها هى العروسة .. سألته عمن يريدها .. علمه أبوه زراعة البرسيم لازمة لإنبات كيزان الذرة .. همس فى خبث مخبؤ .. جمالات .. ازاحت خيبة امل عابرة واشترطت أن تكون هى أم العروسة .. وحين تزوجت اختها الكبرى .. خرجت أمها تحمل الخرق البيض وقد تلوثت بالدماء .. هللت بين النسوة تنشد وتزغرد .

حاشية :

امتد الخلاف بين «اسطنها» ومسجد الخضر منذ أن كان الشيخ حسن مؤسس عائلة يحيى عمدة للقرية ، واستطاعت مجموعة من الخارجين غربى البلد الاستيلاء على قطعة أرض أطلقوا عليها الاسم المعروف الآن - (تلبنت) تجمع فيها بعض المناوئين لهم وتمكنوا من الخروج

عن طاعة الشيخ حسن .. ومالبثت جماعة أخرى أن سلكت نهجهم وخرجت بقطعة أرض أخرى اسمتها (ابشيش) تجمع فيها مجموعة من قطاع الطرق ... واستفحل الامر - مما أدى إلى خروج العُمُدية إلى دار البشرية - عندما استطاعت جماعة أخرى الاستئثار بالجزء المحيط بمسجد الشيخ «أبو العباس» بحرى البلد والمتضمن للجزء الخاص بزراعة الخس والجرجير والبقدونس واستحدث منه الاسم الذى أطلقوه عليها وما عرفت به بعد ذلك (مسجد الخضر) وراحوا يستأثرون بالإشراف على مولد (سيد أبو العباس) .

تكوين :

ناحت أمه باكية طفلها وشكت قلة اللبن فى الجاموسة .. لعن أبوه مسجد الخضر والشيخ حسن .. أوشك البرسيم على النهاية ولم يعد يكفى الجاموسة .. رأى أبوه أن لامفر من أن ترعى الجاموسة على حافة الخضراوية ساعة كل يوم .. بعد نقلات السباخ وتتريب الزريبة .. وكانت الليلة الختامية لمولد أبوالعباس أفضل الليالى لتنفيذ العملية .

جمع الشيخ محمدى عمدة البلدة أعيانها وأعلن عليهم قراره .. علت الدهشة الوجوه .. احتج شيخ البكايرة حيث آخر من قتل كان من رجاله .. وانسحب من الاجتماع مهددا .. استمر الاجتماع وأخذ الشيخ محمدى يعدد لهم ما يتراءى له بعد تنفيذ ما انتوى عليه والوعود التى انهالت عليه من مأمور المركز إن هو ساعدهم بمثل هذا العمل من جانبه .. اشرأبت الآذان عند سماع التوسط لدى الحكومة للتنازل عن نصف

محصول القمح وثلث محصول الأرز وزيادة أسعار القطن .. بالإضافة إلى السعى نحو إضاءة القرية بالكهرباء وبناء المدرسة الإعدادية واتمام مسجد ومقام الشيخ الاسطنهاوى .

صافح ربيع واحدا وانحنى حتى كاد يقبل يد آخر كبير فى السن .. ابتسم لآخر مهنئا بالعيد .. تخطى العريف مندوه عندما رفض أن يساعده بحجة أن الخدمة الليلية أصبحت ليلة وليلة .. توسل إلي الصول عبد الرحمن أن يتوسط له عند الرائد محمد .. كان يعلم طيبة قلبه إذا ما اختلى به الفرد - علي خلاف الباقين - ابتسم الصول عبد الرحمن وسأله عما يريد أن يفعله بالإجازة .. اضطر أن ينتحل عذرا ليس له أساس إلا بين دهاليز أمنياته - بأنه سوف يتزوج .. إلا أن الصول عبد الرحمن - على ما يبدو - كان يعلم الكثير عن أمر قريته ، فأصر على حرمانه - حتى من إجازته الشهرية التى تحين بعد أسبوع من تاريخه .. كان قد انتخب - بين آخرين - في مهمة تكسير بعض غيطان الذرة - فى ليلة غير قمرية - بغيطان مسجد الخضر - لم تكن المهمة جديدة اعترض أبوه .. كفاهم ما كان .. قررها مجلس مشايخ القرية برئاسة الشيخ محمدى .. تذكر أبوه طفله الذى كان .. بكت امه ... كانت إحدى الوسائل المطروحة .. ردا على رش التوكسافين على النجيلة الممتدة تجاه القرية بجوار ترعة الخضراوية .. سرى الوجوم ... وانتحبت النسوة بعد أن راح ضحيتها سبعة أغنام وجاموسة .. وكان الله لطيفا فى قضائه عندما أنقذوها بالسكين قبل أن تفيض الروح .. ولم يكن من فاعل غيرهم .. تقافز بين المشاهد فى غير قليل من الجلال الواجب .. نحى

جانبا قبر جده الذي مات بين يدي زوجته وألقى التحية على قبر عمه الذي مات في حرب فلسطين .. وقف يتمتم ببعض الآيات - بعد الفاتحة - علي قبر أخية الأصغر .. كان - مع آخر - أحد ضحايا عمليات مسجد الخضر .. وكانت إحدى الوسائل المطروحة .. انتقاما لعملية حريق بأجران القمح .

وما إن استطاعت فوزية قذف بعض الأرغفة - غير الملعبطة - داخل الفرن في إحدى محاولات أمهما .. حتى بدأوا يمنعونها من اللعب معه .. فى البداية يمنعونها من الخروج إليه بعد الغروب .. وبعد ذلك .. أصبحت ساعة راحة القيلولة .. ثم .. لم يعد لها رفاق من الأولاد .

لاحظ أنه كلما مر بدارها .. تعلقت عيناه بالباب .. فإذا ما وجدها .. أخذ يسرع بالحمارة خلف نقلة السباخ ، وارتفع صوته بالغناء .. وما يلبث أن يفرغ حمولة الحمارة حتى يقذف بنفسه فوقها . مسرعا يهز كلتا ساقيه النحيلتين حول بطنها .. ينهال عليها بعصاه الغليظة .. بينما يكيل لها النداء واللعنات .. فإذا ما عاد للمرور بالدار .. وجدها تتلكأ فى كنس ما أمام الباب .. يرفع يده وصوته محاولا جذب انتباهها .. تستقيم وترفع المكنسة - هى الأخرى - ملوحة .. وتعلو الابتسامة وجهها الأسمر الشاحب يندفع من جديد إلى حيث يعيد الكرة .

ترصد للثعبان في تلصص .. زحف الثعبان إلى عش أفراخ الحمام النابتة .. هوى بعصاه على أم رأسه .. نال طرف عصاه جناح حمامة نابته الريش .. بكت أمه طفلها لم يكن يعلم بالتحديد أبعاد المنطقة

المكلف بحراستها فى تلك الليلة .. كل ما يهم ألا يراه احد نائما ، أن تكون البندقية فى غير كتفه .. ساعة واحدة مرت من الساعات الست المكلف بالخدمه فيها .. بعض صيحات الآخرين يتساءلون عن الساعة - في محاولة لقتل الوقت - .. الواحدة بعد منتصف الليل .. فكر أن يعيد تذكر تركيب البندقية .. تمنى لواستطاع الهروب بها لتنفيذ شيء في إحدى ليالى الذرة .. شعر أنها تسهل المأمورية كثيرا .. لا بد أنها اسرع من البلطة .. حاول تدبير الأمر .. رصاصة واحدة من بعيد .. ثم تتولى البلطة بعد ذلك تهشيم الرأس وتقطيع الجذع .. ثم .. الحصول على اليد .. أو حتى .. أحد الأصابع برهانا للقرية . بدأ يتفحص ويعد الرصاصات فى الأمشاط .. تضخمت رأس أخيه الأصغر بجوار الساقية .. كنس التراب بيده في مساحة نصف متر .. جلس واضعا خزنة الذخيرة بجانبه .. تلاعب اللسان الخارج من نصف رأس الآخر على الجانب الآخر من الساقية .. رأى أن الخروج بها أجزاء صغيرة لابد يكون أيسر من الخروج بها سليمة .. ليتمرس عملية الفك والتركيب فى أقصر وقت ممكن .. (وكلما قاطعه واحد بالسلام .. عاد من جديد إلي البداية .. بسم الله الرحمن الرحيم .. قل هو الله احد ..) .. تسلل العريف مندوه مع أحد أفراد الأمن من خلفه .. تفككت البندقية سبعة أجزاء .. نظر إليها فى نهم .. استطاع العريف مندوه وفرد الأمن اختلاس خزنة الذخيرة دون أن يشعر .. بدأ من جديد يفكر فى عملية التركيب .. ولم يستطع في الصباح تسليم السلاح إلى السلاحليك .. قرر الرائد محمد عبد القادر ضرورة المحاكمة العسكرية .. لكن توسلات الصول عبد

الرحمن استطاعت تخفيف الحكم إلى .. شهر حبس .. لم يستأذن الشيخ محمد المتولى - وجلس يتلو سورة القارعة دون أن يطلب منه احد .. بحث عن شيء بأحد جيوب جلبابه .

تباعدت المرات التى أصبح فيها يرى فوزية .. أصبح يختلس معها الكلمات .. كان عليه اختلاق الأسباب .. وكانت تتعمد إظهار الحذر فى حديثها .. وما أن يلمحها تتحدث إلى أمه تطلب شيئا .. حتى يتعمد الإسراع إلى أمه بإحدى الحجج .. فكر أن يطلب من أمه أن تفاتحها فى الموضوع .. لكنه خشى ثورة أبيه .. وضعف المتبقى من إيراد القطن .. لم يفكر فى يوم أن اباه يمكن أن يتقبل مثل هذا الأمر .. سمع أن عبد الرحيم تقدم لخطبتها .. ترك الحمارة تسير على مهل .. لم يلق السلام على أحد .. داعبه عبد الصبور على جسر الترعة .. تعلل بأنه لم يره .. أفرغ حمولة الحمارة فوق كومة السباخ وجلس صامتا .. تمنى لو أبقت الدودة على شيء من زراعة القطن .. لو فتح الترعة ليلا لتغرق كل الزرع والدور .. لو يستطيع قتل عبد الرحيم .. لو أن أهلها طلبوا منه فوق ما يحتمل .. لو أن أباه تقبل الأمر فى غير ما كثير من الثورة (أنهى الشيخ محمد المتولى القراءة على عجل ..لم ينتظر الحصول على الرحمة .. أسرع إلى آخرين) .

تراقص الحزن فوق أقبية الدور .. ناحت الغربان فوق أعشاش الأشجار ... زحفت الثعابين على أفراخ الحمام .. طارت خفافيش الظلام على أجنحة الليل .. شكت النسوة خراب أضرعة البهائم .. صمم الشيخ

محمدى على ضرورة إيقاف النزيف .. باركه شيخ الحمايدة .. وعد شيخ اللشامنة بمحاولة إقناع شيخ البكايرة .. أثنى شيخ الحزامنة على حُسن التفكير .. بينما وجم شيخ البوالغة .. استقر الرأى على أن يبدأ الموكب بعد نحر الأضحية .

ارتباط :

بدأت الصفوف المتراصة تتباعد .. أخذت أعداد الرجال تنحدر إلى خارج المشاهد انعكست أمارات اليوم على الوجوه .. بدأ ربيع من جديد يعيد قراءة الفاتحة .. أدار وجهه ناحية البلدة .. (السلام عليكم ورحمة الله .. السلام على أمواتنا واموات السلمين .. السلام على أمة لا إله إلا الله) .

تماوجت سحابة صباح شتوى أمام قرص الشمس فى غزل غير عفيف . تخلصت أشعتها من فلول تلك السحابة المنسحبة .. استقر قرص الشمس فى ثبات يرقب الجموع المنسحبة .. وما أن علمت فوزية بنبأ رفض أهلها لعبد الرحيم حتى هللت أعماقها فى استحياء .. شعرأنه - حقيقة - فى شوق لرؤية الصول عبد الرحمن .. لملم أطراف جلبابه فى خفة .. وبدأ يهبط المنحدر نحو الطريق .. امتدت حقول البرسيم الخضراء أسفل المنحدر داعبتها نسمة ريح خفيفة فى تموجات قصيرة .. تأبط ذراع فوزية فى زهو وخيلاء .. علت البسمة وجهها الفرح .. رفع يده الأخرى يحيى المهنئين .. انحدر كم جلبابه الواسع .. تعالت زغاريد أمه .. شعر أنه يملك العالم .. أصابته بعض حبات الملح فى وجهه .. قرر ضرورة الحديث

إلى أمـه .. عم صـخب الاطفـال شـوارع القـرية .:. سـرى هرج بين الدور والحـوارى .. توافـد الرجـال على الدوار .. وعند العـصـر .. كـان قـد بدأ التباحث ..

الاختيار

.. وأصبح للشمعة مكان معروف .. إذا ما انطفأ النور ، تحسس بيده الجدران واستطاع أن يصل إليها دون عناء .. إذا لم يحدث في الأمر جديد .. تعود القراءة فيها .. وقضاء حاجاته .. بينما كانت هي تنام الليل بطوله .. وإذا ما استيقظت تحسسته بجانبها .. وكان دائما في غير مكانه وكثير ما نشبت مشاجرات إن هي غيرت مكان الشمعة ، إلا أن الأمر قد تدهور هذه المرة .. فكر كثيرا في ضرورة وضع نهاية للمهزلة .. إذ لا يمكن أن تستمر الأمور على ما هي عليه .. هددها بالانفصال كثيرا .. أكدت له أنها لاتتمناه بعد أن أصبحت الحياة معه لاتطاق .. إلا أنه حينئذ .. عليه هو بالخروج من البيت ..

انعدمت الرؤية وتراقصت نجوم وهمية في الأفق .. ارتسمت خيالات لانهائية على الجدران والأسقف وفي الهواء .. صرخت في ذعر جنبات الزمن المجهول وتخبطت خفافيش ظلام الأيام الغابرة .. لحظة انطفاء النور ، سكن قليلا ولعن النور والظلام وساكني البيوت والقبور وقارئي الكتب والفنجان وكاتبي البخت والأشعار .. نادته في الحجرة الأخرى ..

سب الزوجة والأبناء .. تداخلت أزمنة العوالم المجهولة وتخبطت الصور والألوان .. صرخ فيها أنه لابد يوما سيثبت لها عكس ما تظن .. فى البداية .. أوشكت على البكاء .. ثم أخذت تؤكد أنها غير مسئولة ثم راحت تلح فى الذهاب معه فى أى وقت يشاء .. انزاح الكرسى إلى الوراء قليلا وقذف بالقلم والأوراق .. بدأ يتحسس الجدران .. ارتخت شخوص القصة على مقاعدها فى انتظار .. وراحت تتحدث فيما بينها أحاديث جانبيه .. وماذا لو ذهب هو دون أن تدرى ؟ .. وحينها إن هى رددت ذلك .. ولكن .. لماذا تؤكد هى ذلك فى شبه يقين ؟ .. أتكون قد سبقت وفعلتها ؟ إلا أن حركة تنظيم وتنظيف شامل قد تمت اليوم .. واصبح لاشىء فى مكانه .. صرخ فيها يسأل عن الشمعة .. لكنها لم تعد تذكر .. لابد أنها تتعمد ذلك .. فدائما تحاول انتهاز الفرصة .. قلب فى أشياء الدرج الأسفل والأعلى والأوسط .. انفرطت حبات عقد اشتبك فى زجاجة رائحة كبيرة .. تنافرت خيوط القصة فى الورق وتباعدت أبيات قصيدة تتداعب .. شعرت أنه فى أعماقها يتحرك .. وحاولت إفهامه ذلك .. استنكرت أن .. خفت حدة الظلام قليلا وانبعثت رائحة ضؤ خافت من مصباح الشارع .. تبين الشمعة وسط كومة أشياء الدرج .. تحسس الجدران من جديد وأخذ يبحث عن الكبريت بين أشياء المطبخ .. سوف لا أمكنها هذه المرة من استغلال الموقف .. إنها تتمناه .. وربما كانت تتعمد .. ارتطمت أشياء بأشياء وتخبطت الملاعق بالسكاكين .. لكنه ما وجد الكبرت . سئم البحث وعاد يلعن كل شىء .. كانت قد ملت الانتظار وبدأ النعاس يداعب عينيها .. أخذ

يتـحس الجـدران .. تململت شـخـوص القـصـة فى انتظار قلق .. وفى استسلام ... اندس إلى جانبها فى ترقب .. وكانت قد شعرت أن الحركة قد نامت بالأعماق .. قامت .. استدرجت فتاة القصة فتاها إلى المخدع .. احتسيا خمر القبلات فى نهم .. جاهدت شمس الصباح فى اختراق حجب الغيب واستقرت فى ركن الحجرة .. عاندتها سحابة شتوية كثيفة متشكلة فى غير ماثبات .. زاحفة فى غير ما عجلة .. تأرجح ضوء خافت على البعد دون حرارة .. وكلما مرت عربة فى الطريق .. تسلل بعض الضوء عبر فتحات الشيش كاشفا عن جدران الحجرة .. ولم يكن قد تمكن من اتمام بعض الواجبات الصباحية .. بدا طويل شعر الذقن غير متقن رباط العنق .. مر أتوبيس وآخر .. وفى الثالث استطاع أن يندس بساق واحدة على طرف السلم الخلفى .. تشابكت الأرجل والأيدى .. ورغم محاولته تجاهل أن شيئا فى الامر جديدا .. الا أنه كان متلعثم الخطى بين المكاتب وصولا إلى مكتبه .. ولم يكن يشعر ذات يوم بالمسافة بين مدخل الحجرة الواسعة وبين مكتبه ، ولا كم عدد المكاتب التى يمر عليها وصولا إليه .. وفى الليالى القمرية كان يحب التجول فى شوارع القرية بحثا عما يمكن أن يدور خلف الجدران .. وضع واحد فنجان القهوة وأزاح آخر الجريدة .. توقفت بعض الأحاديث قليلا .. واستأنفت .. تحركت هى فى غير وعى فصدر أزيز من خشبات السرير .. لم يجد بدا من القاء التحية .. ردها البعض وتهامس آخرون .. همهم فى كلمات غير مسموعة لأحد عن المواصلات والزحام والإشارات .. وكم حاول فى تلك الليالى أن يأتى بعمل ما .. فكر مرة أن يقف وسط القرية يصرخ

بأعلى صوته .. ود لو يستطيع بعثهم من تحت أقبية البيوت الترابية .. وفكر مرة يملأ طرف جلبابة حصا وطوبا ، يجرى به فى الشوارع يقذف أبواب الدور .. وفكر فى ليلة - غير قمرية - أن يشعل حريقا فى القرية .. لم يفكر يوما أن الأمور يمكن أن تتدهور إلى هذا الحد .. ظن أن المشكلة - فى البداية - لا تعدو سوى مسألة وقت .. اصبح يتحين الوقت الذى قيل إنه مناسب .. الأيام العشرة التالية للأيام العشرة الأولى من الشهر .. حاول أن يقرر أن لايسمح للأمور بأن تسير على ما هى عليه .. أن يداهمه .. أن يرد عليه الكيل بالكيل . حتى لو أدى الأمر إلى أن يقلب المكتب فوقه .. و .. وضربه .. رأى أنه لو أنبت فتاة القصة من عشيقها مخلوقا ، فلا بد أن يجعله مشوها ، ولذا فإنه لايجب أن ينساق معها إلى هذا الحد .. (ومالذى سيحدث إن أنا فعلتها ؟ ولما يخصنى وحدى بهذه المعاملة ؟ يجب الا أجْبُنَ أمامه بعد ..) فكر يوما أن يحطم خوفها بالثقة .. فليذهب معها إلى حيث تريد .. اقتحم - المراقب العام - الحجرة سائلا اياه عن سبب التأخير .. ولم ينتظر اجابة .. عاد فسأله عما تم فى تقرير المشروع الأخير .. تعمد الرد فى لامبالاة أنه لم ينته منه بعد .. ودون أن يحاسبه عن الأسباب ، استأذنه فى لطف وأدب أن ينتهى منه اليوم للأهمية .. نعته بالجبان .. لابد أنه يعرف ما سوف كنت أفعله إن هو استمر على ما كان .. لابد أنهم جميعا كانوا سيد هشون إن أنا فعلتها .. ولابد كانوا سيعملون ألف حساب بعدها .. زامت إلى جانبه وهى تتقلب على الجانب الآخر .. وكان دائم النظر إلى السماء فى تلك الليالى .. فكر يوما أن يحصى عدد النجوم ، لكنها

سرعان ما كانت تتداخل ويسرع بعضها إلى اللامكان .. فيقف حائرا .. فكر أن يقَسِمَ السماء إلى مربعات فيستطيع عد كل مربع على حده .. أعجبته الفكرة وتوقع بها عملا جديداً .. توقفت عربة كبيرة أسفل شباك البيت فكسرت جدران الصمت .. عادت تتقلب من جديد محدثة نفسها .. فكر أن يوقظها سائلا عن علبة الكريت .. ظلت احداث القصة تطارده .. تهامس الجميع عن الخبر الذى بات اكيدا .. اخذوا يتباحثون فى أفضل السبل .. أتقديم هدية إليه أم حفلة توديع .. طلب منه احدهم - أن كان من الممكن اعداد كلمة للحفل .. ايها الافاقون . لقد كنت حقا خطيبا للمدرسة .. وكانت من نصيبى أعلى درجات الفصل فى موضوعات الإنشاء . مع كلمات الشكر .. ولكن ما هكذا أردت .. حذره أبوه كثيرا من التأخير فى الليل بالشوارع .. كرر له أنه ليس (بنتا) .. استعطفته أمه فى عدم السير وحيدا فى الظلام .. فليس لديهم غيره .. ابتسهم لها باستجابة .. سأله احدهم .. الم تكن تكبت الشعر .. اذن فاكتب لنا قصيدة للحفل . ابتسم فى سخرية مريرة .. ولم يكد يسمعه الاخر .. والقصة والـ .. سأله آخر عن رأيه فيما يفضل عمله .. الا أنه لم ينتظر الاجابة .. فكان قد تم الاتفاق على جمع التبرع والاكتفاء بتقديم هدية .

- ٢ -

تردد كثيرا قبل أن يقرر أن يوقظها .. أراد فقط ان يسألها عن الكبريت .. همهمت فى غير وعى كامل عما يمكن أن يفعله بالكبريت

الآن .. اجابها فى نفاد صبر أنه يود اضاءة الشمعة .. وماذا ستفعل بالشمعة فى مثل هذه الساعة ؟ .

- ليس بى حاجة للنوم .. اريد القراءة .

- ستعمى عيناك إن شاء الله إن واصلت القراءة على هذه الصورة .

شعرت أن ثورة على وشك الانفجار فى هذا الوقت فاسرعت : ربما كانت بدرج المطبخ .

- ولكنى لم أجدها

- ابحث عنها ثانية وسوف تجدها .

وقبل أن تتم كلمتها كانت قد أدارت ظهرها وأخفت وجهها بالغطاء ..

لم تزل كلمات أمه حية منذ أن كانت تذكره بجنية البحر كلما أوشك على البكاء .. لكنه حاول - فيما بعد - إقناع نفسه بأن لاجنية هناك .. أخذ يتحسس الجدران نحو المطبخ .. تذكر أن الشمعة المتبقية قد اوشكت على النهاية .. فكر فى شراء لمبة (جاز) .. كانت وسيلته فى القراءة فى تلك الليالى .. كاد أن يصطدم بالحائط الجانبى لباب المطبخ .. وكم أكدت أمه عليه أن يطفئها قبل أن ينام .. وأن يبتعد بشعره عنها .. ويوم أن مات جده .. قالوا أنه صعد إلى أعلى .. سألهم : وماذا يفعل فوق السطوح ؟ .. أخذ يتحسس حتى درج المطبخ .. وأيقظه أبوه مرة بعد أن كادت تشتعل فيه وقد نام وهو يكاد يلمسها . لم يستطع أن يحدد ملامح محدده للمراقب العام الجديد . أخذ يقلب فى أشياء الدرج

دون أن يرى شيئا .. ويومها كان يقرأ قصة (فاوست) وقام قبل أن تأتى لحظة الوفاء بالعهد .. اصطحب فاوست والشيطان فى كل الجولات .. ارتفع به إلى أعلى القمم .. واقتحم به المخبوء خلف الحجب .. تذوق أشهى المأكولات وضاجع أشهى نساء العالم .. عثرت يده على علبة الكبريت .. رجها بعصبية .. كانت فارغة .. عاد يتحسس الطريق إليها غير كاظم غيظه .. وما أن جاءت ساعة قبض الروح حتى امتدت يدا أبيه .. استيقظ مذعورا .. قرر أن يترك بطلة القصة تصارح عشيقها - فى تلك الليلة - أن روحا تتحرك فى أحشائها .. قذف العلبة فى وجهها ثائرا .. استيقظت مذعورة .. أضىء النور فجأة .. صرخ فيها أن العلبة فارغة .. همت أن تثور فى وجهه محتجة بعدم الراحة . لكنها قالت : أن هناك علبة أخرى ثم ها هو النور قد عاد ما الحاجة إذن إلى الكبريت ..

إنك تتعمدين إخفاءها .. ابتسمت فى سخرية : ولماذا ؟ .. ليس هناك أهمية لذلك .. ولافائدة ..

- أنت تعرفين إنه أنت .. وسوف أذهب معك كى يندس لسانك فلا تتحدثين عن ذلك مرة أخرى عادت من جديد تبتسم فى سخرية ولامبالاة اطاحت بالبقية الباقية من صوابه .. بالله عليك أن كنت را ... ولم تكمل كلمتها فكان قد هوى على خدها بقوة يده . غلبت دهشتها عبرات البكاء المكتوم ... ظلت فاغرة فاها دون حراك .. لم ينتظر طويلا أمام نظرات عينيها .. سار دون أن يتحسس الجدران ... اختفت

الجنيات والخفافيش .. عاد إلى كرسيه .. تنحى المراقب العام فأفسح المكان لفتاة القصة .. تنبه العشيق فجأة .. أخبرته أنها - رغما عنها - حامل .. صفعها بقوة يده وبصق فى وجهها .. قرر على الفور الذهاب بها إلى صديق طبيب .. ابتسم هو فى بلاهة ومرارة .. نفس الطبيب .. بينما كانت - هى - بالداخل قد بدأت فى جمع حاجياتها ..

جدى والكلب

انخلع القلب عنيفا .. تحطمت ذراته عند القدمين .. صرخ الوجيب في مرارة الاصطدام مكسرا كل أبعاد الأماني والأحلام .. امتد الطريق وتلوى في عنف حاد ممتدا إلى اللانهاية .. اختلطت الصور وتعددت الرؤى .. انشرخت كل المرايا .. نزعت يدى من يدها .. في البداية .. قاومت إغراء الجرى .. تشبثت قدماى بالأرض .. ضاعت الكلمات على الشفاه .. حاولت أن تنزعنى منه .. تقوست أصابعها حادة عنيفة بذراعى .. أسرعت الخطى .. انتقلت بها إلى الجانب الآخر من الطريق .

تبعنا في ذل وإصرار .. أذناه متدليتان يتشمم الأرض .. حاولت أن أتناسى وجوده خلفنا .. أقدامه تتابعنا .. بحثت عن أطراف الحديث من جديد .. أشباح تنظر الينا .. وتمر سريعا .. لاتكاد تراه خلفنا ، حتى تشيح بوجهها وتسرع الخطى .. تتحاشانا .. تتحاشاه .. الضوء غير كاف .. بشارع الجامعة - وغير معتم .. تحولت الأشباح إلى أطياف وخيالات تتدحرج على الأرصفة .. تهمس الأشباح .. تنظر من بعيد وتمضى .. تنحنى بالطريق .. تتلاحق بالجدران .. تختبىء خلف الأشجار .

سألتنى عما إذا كنت أحبها .. انشقت الأرض عن صورة جدى .. ضخم الجثة .. عليه سيماء التفرد .. تتحدث تجاعيد وجهه بالكبرياء .. ينفرد بالأريكة بمدخل الدوار .. عصاه الغليظة ذات المقبض الأ بنوسى ترقد مستكينة إلى جواره .. كلبه الضخم يهز ذيله .. يلعق بلسانه الطويل عباءة الجد ، فيبتسم فى زهو وخيلاء .. ظننت أنى لم أسمع السؤال .. عادت تسألنى .. تحلم .. تحيطنى بذراعها .. تبحث عن نظراتى . تنتزع من بين شفتى الكلمات .. عاد الالم ينز بساقى .. يمتد إلى ما فوق الساق .. اشعر بالانياب تنغرس فى مؤخرتى .. اتلفت خلفى .. تلامس خطواته خطواتى .. أجرب نحيف .. نظراته ذابلة .. غير مركزة .. أغافله .. أنسحب بها إلى الجانب الآخر يمتد بنا شارع الجامعة موحشاً ، نتفادى عربة مسرعة .. يسرع خلفنا .. كادت العربة تفترسه . وددت لو فعلتها .. يتفاداها .. تمنيت لو فعلتها بيدى .. ألعن جدى والكلب .. الكلاب جميعاً .. تحاصرنى .. تتبعنى فى كل مكان .. دوما تنبح .. تعوى .. تكسر منى عظام الرأس .. تنغرس الإبرة فى بطنى .. ثعبان أقرع .. تسرى السموم فى مجرى الدماء .. تتعدد .. احدى وعشرون ابره .. تتقلب كل محتويات البطن .. اصرخ من الألم .. اتلوى .. يأتى صوت أخى من ذلك العالم الآخر .. لم يكن أخى هو الذى يتألم .. إنه أنا .. يحذرنى .. لابد من الاستمرار .. امى تحذرنى .. تدعونى للسير بجوار الحائط .. تدعونى ألا أشاكسه .. أعارضها .. أثور فى وجهها .. تدعونى أن أتذكر اخى .. تذكرنى .. عندما ناوشته .. انغرست أنيابه فى اللحم .. ظل يصرخ .. تنغرس

الأنياب .. يرتسم الألم على وجهه ناطقا .. يصرخ.. تنغرس .. شهقت أمي على البعد .. انتفض منها القلب عنيفا .. خرجت انياب الكلب بقطع اللحم .. الدم ينزف من مؤخرته .. لم يكن صغيرا ... ولم يكن مشهده كبيرا .

تظاهر جدى بالحزن .. خاصم الكلب .. قرر حرمانه من وجبة الغذاء .. ومن خلفنا رأيته يدفع إليه بقطع اللحم الكبيرة .

تحاول أن تنتزعنى .. هى تعرف .. لكنها تتظاهر .. ألمحها فى رعب خفى تسترق السمع لخطواته .. تخافه .. تسألنى عما إذا كنت احبها .. اتلفت خلفى .. عن مدى حبى لها .. يتبعنى كالظل الممتد المتطاول .. عما إذا كنت سأتركها بعد التخرج .. يتراخى ذيله كأذنيه .. يتشمم الأرض .. قالت : انك تبالغ ، قلت : لم يكن أخى فقط .

قالت : هم الذين كانوا يناوشونه .. الكلاب لا تعتدى على من لايقترب منها .. من يسير فى هدوء بجوار الحائط .. سمعت أمى تتحدث

- كان جدى هو العمدة .. ولابدلهم من مقابلته .. كانت لهم أشياء

- حالات فردية .

- إنهم كثيرون .

- لابد أنهم أثاروه

- كان دائما رابضا بالباب ..

وطريق الجامعة .. لا نهاية له .. يمتد بنا .. ويمتد ..

امتد الشارع وتمطى بلا نهاية .. ساعة الجامعة تدق .. تتابع الدقات العنيفة .. تهتز الشرايين هزات صارخة .. يسرى الدم حارا فى العروق .. تتحرك أوتاره فى عمق الاعماق .. تتداخل وتتباعد .. تتجمع وتتشكل .. يعتدل فى جلسته على الأريكة الخشبية بمدخل الدوار .. كنت أحبه .. لكن .. الأحشاء تئن .. للإبرة فى انغراسها بين حشايا البطن خشخشة كصوت الريح فى ليل شتوى قارص .. أنياب الكلب حادة طويلة .. كألسنة الخوف المتحفز فى ليل الظلمة .. تمتد بين الدروب .. تلعق القلوب الواجفة .. تلوك الاجساد - المنكمشة .. إذا انغرست الأنياب .. تتمزق قطع اللحم .. تتقطر الدماء .. تسيل على الأرض .. تستحيل سطورا .. مقرؤة تلك السطور .. تفترش طريق الجامعة الممتد .. على الأرصفة .. على جذوع الاشجار .. على وجوه الأشباح المارة .. يهب الموتى من الثبات .. يتجمعون .. يتألمون .. يصرخون .. ينبح الكلب مذعورا .. يندفع .. يهجم .. ويتفرقون .. يتشعبون .. يتكومون فى انكسار ذليل . وهو قابع فوق أريكته .. فى هدوء يربت على ظهر كلبه الضخم العالى .. يمشط شعره الطويل باصابعه .. تفور الدماء فى العروق . يسمع لها صوت كصوت الحديد المحمى فى المياه .. أجرها إلى الجانب الآخر يتبعنا الكلب فى عناد ولم يزل شارع الجامعة يمتد .. فكرت فى قتله .. فى دس السم .. فى نهش أحشائه بأظافرى ... صرخت أمى .. أنه لايعجز عن الإتيان بغيره .. لكنه لايرحم ، للكلمات طنين فى الآذان .. للكلمات بقايا تترسب فى القيعان .. لابد أنه قد

عـرف أنى أود .. أتراها قد أبلغـتـه .. لكنهـا أمى .. من يدرى .. ربما كان هو الذى قد شعـر أنى أود فـعل مـا أرغب .. حتى لو لم أبح به .. ربما له قـرون تستـشعـر .. الأصوات تتـصاعـد من تحت الأقدام .. تدفعنى .. الكلاب تنبح وتجرى .. تحاصرنى تهشنى .. أجرى .. تنغرس قد ماى فى عـمق الرمال .. أود أن أصرخ .. يصرخ الخوف المخبئ فى عـينهـا .. تتكلم فى كلمات متوترة .

- تعبت من هذا الطريق .. فلنبحث عن مكان نجلس فيه .

- ....

الكل يجرى مذعورا .. والكلاب تجرى .

- هناك فى آخر الطريق .. عند الميدان توجد استراحه .

- ....

إبراهيم كـاتب الجـمعـية .. موسى مـدرس الابتدائى .. حتى الشـيخ محمـود خطيب المسجد .. كلهم يخـافون الكلاب .. والكلاب لاتكف عن طلب الطعام .. ولاتكف عن النباح .

- أخاف عليك .. على حبنا .. على مستقبلنا .. على حلمنا ..

- فى حسره وألم أقول : صديقتى .. لا تنتظرينى .. لم أعد أصلح لشىء . الكلاب تطاردنى .. تعوى فى أذنى حتى فى أعماق الليل ..

وجدِّى يجلس هناك له عـيون البوم وأسنان الفأر .. يلتمع فى عينيه

عناد وقوة .. رغم أنه يجلس فى هدوء ..

فى عنف ونفاذ صبر .. أجرها .. التصق بالجدار .. يلازمنا .. لم تعد تجدى نصائحك يا امى .. لم تعد الحيطان تحمينى .. انظر خلفى .. لم يزل كالظل يتبعنا .. تدفقت الدماء حارة ساخنة .. تراكم ضباب كثيف يخبىء حدقة العين .. انعدمت الرؤيا .. إلا من الكلب .. تضخم .. اشرأبت اذناه .. انفرد ذيله إلى أسفل .. اندفع مذعورا .. هائجا .. اهتزت الاريكة الخشبية .. اندفعت الكلاب تجرى نحوى .. تطاردنى .. تهاجمنى .. خلف الأشجار .. كلاب .. خلف الأسوار .. كلاب .. أبواب البيوت .. شرفات المنازل .. كلاب تتدافع حولى .. تكشر عن أنيابها .. تزمجر .. اجرى .. تجرى .. تسد الطريق .. ارجع إلى الوراء .. تواجهنى الكلاب .. تهاجمنى .. تنبح .. تتدافع كلاب اخرى على النباح .. تتجمع .. تنبح كلها .. يسد النباح اذنى يطن فى راسى .. تتزاحم .. تتزاحم .. حتى لم أعد أراها .. اتلفت .. أجرى ..أبحث عن مكان .. عن ملاذ .. حفرة عميقة.. أقذف بنفسى فيها ..أنبش التراب .. أهيله فوقى .. يضغط التراب على صدرى .. يطبق على انفاسى .. تتحطم عظام الصدر .. تئن .. تلهث انفاسى .. يملأ التراب فمى .. تجاهد عينى .. ألمح الكلاب .. تحيط بى من كل اتجاه .. يتوثب فى عيونها ترقب وتحفز .. وهو واقف .. نبت له ذيل وتراخت أذناه الصغيرتان . ويكاد يضحك بينما الرعب يشلنى .. وضاع صوتها .. وسط نباح الكلاب .

المفعوص

ولم يكن أمامى سوى هذا المكان ألوذ إليه سعياً وهرباً ، بعد ما اتسعت من حولى جميع الأمكنة ، كما أنه لم يعد من الصعب السكنى فيه خاصة بعد ما صرت على الحالة التى صرت عليها .

فى البداية ، توجست منى مجموعة البراغيث المتزاحمة خيفة وأخذت تتطاير وتتقافز هنا وهناك فى ذعر وهلع .. فقد كنت مخلوقاً غريباً عليها ، لكنها سرعان ما تجمعت فى مجموعات راحت تتهامس بما أوحى إلى أنها تُعد لخطة هجومية ، أو تفكر فى الرحيل وترك المكان ، انكمشت مستكيناً فى أحد تجاويف مُلة السرير ، بينما صنعت مرتبة السرير تعريشة من فوقى فأعطتنى مساحة تمكننى من الحركة ، خلعت عنى رداء الأيام وتخففت من أثقال الزمن ، لعنت الأيام التى نمت فيها فوقها ، وكانت مسرحاً لأحداث دامية ، تداخلت الظلمة فى الظل ، وتجمعت مجموعات البراغيث من حولى ، ظلت تتأمل وتترقب سمعت إحداها تهمس بضرورة سؤالى واستجوابى ، لابد من عقد محكمة سريعة لاستجلاء الأمر . إلا أن أخرى همست : إنه ساكن الحركة مسلوب الإرادة ،

لماذا نحاكمه ولم يقدم على فعل القتل الذى يمارسه بنى جنسه ؟ إنتفض برغوث آخر من بعيد قافزاً ناحيتى قليلاً فى خوف وقال : ومن أدرانا أن ليس فى السكون استعدادا للهجوم .. إنهم لا أمان لهم . وكأنهم خلقوا لقتلنا فقط ، إنهم لا يقبلوننا بينهم ومذابحهم الجماعية تشهد وتصرخ بأن لاعهد لهم ولا أمان . وقال آخر : إننا لايجب أن نكون مثلهم وننقض عليهم دون ذنب أو محاكمة .. فلنعقد المحكمة ، فإن أدين ، قمنا جميعاً بتنفيذ الحكم ، وإن لم يكن ، فلنقبله بيننا ونعلمه طباعنا ولينضم إلى مملكتنا ..

تقدم واحد منها إلي مواجهتى واستقر فى مكانه بينما جلس أحدها على يمينه للخلف قليلاً وآخر على يساره فى حذائه . بينما اصطفت المجموعة فى الخلف ، سرى قليل من الهرج بينها ، فتحركت ساكنات صندوقى المغلق وتداخلت مكنونات الأوهام وموؤد الأحلام وراحت تجر - رغما عنى - حبال الأيام وتستولد حبالى الليالى .



كلما كانت تعلق المراجيح عند مولد «سيدى أبو العباس» أو فى أحد العيدين ، لم يكن لى من متعة سوى ركوب المرجيحة . وكلما كانت تتطاير فى الأعالى كلما كانت سعادتى لاتحدها حدود ، وكم دخلت فى سباقات مع رفيقاى محمد عطية وسعيد عبد الرازق حول من يمكن أن يلف بالمرجيحة لفات أكثر ، وكم حذرنى أبى من الذهاب إلى المرجيحة ، غير أنى لم أعبأ بتحذيراته ولم أكن أستطيع مقاومة الجذب الذى يشدنى

إليها وتلك الفرحة التى تغمرنى وأنا أدفعها لتزداد ارتفاعاً ، بينما تتطاير ملابسى وتصبح مثار تعليق ومزاح بين الناظرين إلى من أسفل فكنت أختلس بعض القروش لأمارس متعتى المفضلة بعيداً عن عيون أبى المسلطة . غير أن الحذر لم يكن ليمنع القدر ولم أكن أدرى أكانت المصادفة هى التى جاءت به إلى هناك ، أم أن أحد الواشين قد وشى بى فجاء عامداً متعمداً ، ولم يكن لأحد أن يقف أمام أبى عندما يثور ، ولم يكن له من شىء محدد يضرب به . ورغم توسلات أمى .. إلا أن الضرب كان فى كل اتجاه حتى كلّت يداه ، فوقعت عينه على عصا غليظة سرعان ما إلتقطها وهوى بها على أم رأسى قاذفاً بى أشد اللعنات على خلفتى (المهببة) ، مؤكداً أنه سبق له تحذيرى العديد من المرات . الغريب أن الدماء لم تهطل من رأسى رغم عنف الضربة ، إلا أن الأرض دارت بى عدة دورات ، ولم أتبين بعدها ماذا حدث ، غير أنى ممدد على الأرض وأمى إلى جانبى تبكى وتضع يدها على جبهتى ، شعرت بعدها مباشرة بأن أشياء غريبة تدور تحت الجلد . وعندما هممت بالقيام ، كان قد استقر لدى أن نواميس الكون قد توقفت وبدأت فى الإتجاه العكسى ، حاولت أن أتمالك وأقف معتدلاً ، إلا أننى لم أجدنى فى نفس طولى ، رغم أن أحد لم يلحظ شيئاً .

ومن حينها ، لم أمارس هوايتى المفضلة فى التحليق أو الدوران .



وما أن توقفت لإلتقاط أنفاسى حتى تمايلت بعض البراغيث على

بعضها وراحت تتهامس حتى نطق المتصدر أمامى : أيها الأبله إن نواميس الكون لاتتوقف وتنعكس . فمنذ أن وجدنا ووجدتم وأنتم تعملون فينا مذابحكم وتقتلون بلا هوادة وإن فعلاً واحداً قد لايكون كالأفعال الكثيرة . وإن طريقاً مغلقاً لايعنى أن الطرق كلها مغلقة .

تحسست رأسى فتحركت بعض الشعيرات وتذبذبت بعض الأوتار .. ورغم أنى لم أكن فى طول الآخرين الذين يمارسون لعبة كرة السلة ، إلا أن مدرس التربية الرياضية كان يصر على ضرورة انضمامى إلى فريق المدرسة . وفى البداية كان التدريب فى الفسحة بعد الحصة الرابعة وقبل الحصة الخامسة التى كانت غالباً ما تكون حصة الحساب التى لم يكن أثقل على قلبى منها .. ربما لم أكن أحب الحساب أساساً ، وربما لأن مدرس الحساب كان غليظ القلب ثقيل اليد منعدم البسمة ، وعندما كنت أندفع بالكرة أسفل الباسكت لم أكن لأستطيع أن آراه لطول من حولى والفارق الكبير بينى وبينهم فلم تكن تصل إليه حتى يختطفها الأخرون بكل يسر ، فكنت أهرب من ذلك بالقذف من بعيد .. فمن خارج الدائرة كنت أقذف بالكرة وقليلاً ما كانت تفشل فتصبح الرمية ثلاثية ويحتسب لنا ثلاث نقاط فتميزت بها وعرفت بها بين تلاميذ المدرسة حتى أصبحوا يسمونى بالقصير أبو الثلاثية .. وأحببت اللعبة كثيراً .. وكم تمنيت أن يطول التدريب ليأخذ فى طريقه الحصة الخامسة ، فأكون بذلك قد ضربت عصفورين بحجر واحد . ولم تطل الأمانى كثيراً حتى كنا نستعد لملاقاة فريق مدرسة مجاورة لنا ، وكان على مدرس التربية الرياضية أن يزيد من جرعة التدريب حتى تأخرنا بالفعل إلى ما يقرب من منتصف الحصة

الخامسة بعدها اندفعنا إلى فصولنا . ولم يكن مدرس الحساب يرانى حتى بادرنى بالسؤال عن سبب تأخيرى ، فأخبرته بأننا نستعد للعب مع فريق المدرسة المجاورة ، فأستهزأ بى وبالكرة وباللعب كله وتركنى آخذ مكانى فى الفصل ولم أكد أجلس حتى بادرنى يطلب الصعود إلى السبورة لحل مسألة الحساب .. وبالطبع لم أعرف حلها .. وعلى السبورة تلعثمت قليلاً ووقفت مضطرباً . فما كان منه إلا أن صفعنى على وجهى .. وما أن بدأت التذمر حتى كانت عصا رفيعة بالقرب منه فالتقطها وراح يضربنى فى كل اتجاه ، حتى كانت احداها على أم رأسى ، فلمست ذلك الوتر ودارت الدنيا وغابت ولم أشعر بشىء إلا وبعض زملائى من حولى وأحدهم يضع يده على جبهتى ولم يكن مدرس الحساب موجودا .. وما أن نهضت حتى تأرجحت الأرض بى . ونظرت لأعلى حتى أستطيع أن أرى وجوههم فقد كانت النواميس لاتزال فى دورانها العكسى وإنتصرت جاذبية الأرض ، وأصبحت أقل طولاً .. والغريب أن أحداً لم يلحظ شيئاً .



سرى الوجوم على جموع البراغيث وساد الصمت قليلاً ثم نظر الجالس إلى اليمين للمتصدر أمامى هامساً إليه بشىء ما فنظر إلي نظرة استشعرت فيها الريبة والشك وشعرت بأنه يُحَملنى مسئولية ما حدث مع رئيسى فى العمل مما جعل الدم يغلى فى عروقى وحرك كوامن أشجانى وفتح القمقم عن العفريت المخبوء فى الأعماق فخرجت عن سكونى

وحاولت القفز مثلهم غير أنى لم أستطع ، حينها تمنيت لو أن لى أجنحة ولو ضعيفة أستطيع بها الطيران فى تلك المساحة المتسعة التى تجمعنا فصحت فيه منفعلاً :

حقيقة أن رئيسى فى العمل تبدو على وجهه ملامح الطيبة وترتسم علامات الإستكانه غير أنه قد تفوق عليكم معشر البراغيث . فهو يختبىء بعيداً عن الأنظار ويغرس منقاره فى اللحم ويمتص الدم . وعندما عهدته فى كثير من المواقف لايستطيع أن يتخذ قراراً كان حتما أن ألجأ إلى الرئيس الأعلى .. مرة وإثنتان حتى توطدت علاقتى بالرئيس الأعلى مما أصاب حفيظة رئيسى المباشر وفكر فى حيلته الهلامية . وقرر أن يعيد تنظيم العمل وسحب منى عملى معطياً إياه إلى زميل لى وطلب منى مساعدته ، أبعد ما أحببت العمل يريد وأد أحلامى .. لقد كنت على وشك الوصول ، بالطبع رفضت العمل فى البداية فكيف يعطى عملى لغيرى ويريدنى أن أساعده ؟! غير أنه لم يكن أمامى إلا التسليم ، حتى حاولت فى ذلك اليوم الحصول على أحد ملفات العمل من دولاب الملفات ، غير أنه كان بالرف الأعلى ولم أشأ أن أستعين بأحد فشببت على قدمىّ محاولاً الإمساك به إلا أنه وقع على أم رأسى ورغم أنه لم يكن ثقيلاً إلا أنه ربما وقع على ذلك الوتر النافر فى رأسى .. فلم أشعر بما حولى غير أننى بعد فترة لم أتبينها وجدتنى ملقاً على الأرض وأحد الزملاء يضع يده على جبهتى .. ولما حاولت النهوض وجدت من جديد أن الجاذبية الأرضية لم تزل توالى إنتصاراتها ..إلا أن الآخرين كانوا قد بدأوا يلاحظون ما يحدث لى .. وكان مثار تساؤلاتهم

وإندهاشاتهم .



يبدو أن انفعالى قد لفت أنظار عديد الكائنات الموجودة فى المنطقة بأسرها فتضاعفت مجموعات البراغيث المتقافزة والتى زلزلت سكون الجلسة .

واشرأبت أعناق بعض الزواحف المتسلقة جدران الحائط أسفل السرير وبرز من بين الجموع ذو الشارب الأحمر الذى يكاد يجاوز حجمى وتسمع الجلسة من البداية غير أنى لم ألحظه وراح يؤنبنى ويوبخنى على مزاحمتهم فى عالمهم الخاص : أليس يكفى ما تفعله زوجتك فى بعض الأحيان ؟! أليس يكفى ما تشبعنا من مرارة السموم والمبيدات التى تأتى علينا بالجماعات بل لاتتورع فى كثير من الأحيان أن تطاردنا بما تطوله يديها ، حتى وإن كان (الشبشب) ، وتوجه إلى الجموع المحتشدة بضرورة طردى من المملكة ، بينما اعترض آخرون ، بأن إكرام اللاجىء واجب ، ثم إنه لم يأت مهاجماً .. وتضاربت الأراء وانقسمت الاتجاهات وتعالت الأصوات وساد هرج كبير بينما أخذنى الذهول .. وفى تلك اللحظة دخلت الحجرة زوجتى تجر شحومها المنسابة فى كل أتجاه ، تلعن الأولاد والعيشة كعادتها . وأضاءت مصباح الحجرة فانخرست كل الأصوات ، وتدافعت جموع الزواحف والحشرات حتى أصبحتُ وحيدا ، نظرتْ إلى السرير الخالى ، ثم نظرتْ إلى المرآة ، غير أنها لم تعدل شيئاً من هندامها المتهدل وبيد نعسانة أطفات مصباح الحجرة من جديد .

وتمددت على السرير الذى أز أزيزاً موجعا .. تخللت ثنيات المرتبة إلى فراغات (المُلة) فشعرت بضيق فى النفس وسمعت بأصوات عظامى تئن وشعرت بانسحاقى تحت جرم بدنها الهائل .. وشاهدت أحشائى أمامى وسكنت حركاتى ، اعتصرنى الإنسحاق وإنفعص وجودى فلم أعد سوى بقعة دم على خشب السرير . وبدأ شخيرها يحرك ذرات الليل المتراصة فيخلخل انسجامها ويبدد تناسقها .

القاتلة

نعم - سيدى القاضى - قَتلتُها .. قَتلتُها انتقاما لكل ما سرقته منى وأضاعته من عمرى .. نعم سيدى القاضى .. هى لصة .. بل وقاتلة أيضاً .. فلقد قتلتنى يوم أن فكرت أن أقتلها ، وكأنها كانت على اتفاق معى .. أن نتلاقى حتى فى نية القتل .. كيف بالله عليك - سيدى القاضى - تسألنى لماذا قَتلتُها ؟ أليست الأوراق التى أمامك تقول ؟ لماذا تريدنى أن أعيد من جديد .. ثم .. أليست (مديحة) كالأخريات قل لى بربك .. بماذا يمكن أن تختلف (مديحة) عن (مجيدة) .. لقد دعتنى (مجيدة) يوما ولم أكن أشك مطلقا فى صدق كلامها .. وكيف لى أن أشك فى كلامها .. طالما قد قالت .. وزارتنى فى بيتى .. قمت أصنع الشاى .. وقامت لرؤية عش الحمام .. وبالضرورة أنت تعلم -سيدى القاضى- أن هواية تربية الحمام تربيت عليها .. والحمام الابيض فقط .. فَتَحتّ باب عش الحمام .. أخرجت منه الحمام الكبير .. وسقط العش بأفراخ الحمام .. لقد شاهدت أفراخ الحمام وقد انسحقت بالأرض وداستها الأقدام .. ولم تقل شيئا .. فقط انسحبت خارجة دون أن تشرب

الشاى .. ولم أسأل ..

فبماذا يمكن أن تختلف (مديحة) عن (مجيدة) ؟ كلهن - سيدى القاضى - كلهن سواء - كنت قد نسيت ما فعلته مجيدة - وهذه أيضا أعطتنى الوعد .. - لا سيدى القاضى .. هى لم تنطق بشىء .. لكنها قالت لى كثيرا .. عيناها السمراوان قالتا ما كان يشيع الدفء فى القلب والنشوة فى الضلوع والخدر فى الأوصال .. إبتسامتها .. كانت كافية لأن تسير بى إلى آخر العالم دون كلل أو ملل .. كلماتها الناعمة الرقيقة كهمس الزهور .. كانت تعطى أكثر مما تمنع .. حقيقة - سيدى القاضى - كانت أحيانا تخرج لى لسانها .. لكنى ظننتها تعبث .. ليست تعبث بى بالطبع .. فكيف لواحدة أن تعبث بى وأنا أحمل لها كل ما أحمل من حب ؟!!

كيف بالله - بعد ذلك - تَدَّعى أنها لم تعدنى ؟! كل ما فيها - سيدى القاضى - كان يَعِدْ .. لكنى - يا سيدى - تنبهت إلى أنها لم تكن تواعدنى وحدى .. فى البداية ، ظننت أنها شىء عابر .. لكنها فعلت ذلك مع الكثيرين .. لقد وصل بها الأمر أن تعدهم أمامى .. كانت عيونها تقول لهم أكثر مما كانت تقولى لى .. قاومت إحساسى .. حتى كان ذلك اليوم الذى ضبطهما معا.. كانا يجلسان على مقربة من بعضهما .. والحديث بينهما يقترب من الهمُس .. اقتربت رأساهما وتناجت عيونهما فى حديث صامت .. كانت نظراته تلتهم .. ونظراتها فى تنوم واستنامة واستكانة .. الخيانة بعينها - سيدى القاضى - وما

أن رأتني حتى زادت الحمرة المشربة فى بياض وجهها فزادتها جمالا أكثر من كونها خجلا .. إرتعشت شفتاها فى إهتزازات مضطربة فاضحة غير ناطقة .. بحثت عن موضوع لقدمي ، فلم أجد الا الفراغ .. إنفتحت هوة سحيقة تحت قدمي .. ورحت أهوى إلى القاع بلا قرار .. بحثت عن أجنحتي التى طالما أسعفتنى بعد اللقاء .. لكن الرياح كانت قد كسرتها .. انخلع القلب في وجيب موحش نابض بصوت مسموع .. يومها .. وما أن شعرت بلمس الأرض تحت قدمي .. قررت أن أقتلها .. صدقنى - سيدى القاضى - لم أفكر فى قتلها من أجلى فقط .. ولكن .. - نعم سيدى القاضى - سأشرح لك كيف قَتلتُها .

كما تعلم - سيدى القاضى - أنا لا أحب أن أفعل شيئا قبل أن أستأذن صاحبه .. أيا كان ما أريد أن أفعل ..

أخبرتها برغبتي فى قتلها .. ولم تكن تمانع فى أى شيء أطلبه .. ربما - سيدى القاضى - ظنتنى أهذى .. وما كنت أهذى - وكالعادة .. أخرجت لى لسانها .. أخذت الأمر على سبيل الهزل - مثلما تأخذ كل الأمور - وتلك طبيعتها .. تهزل فى موضع الجد .. استلقت على ظهرها وقالت ها أنذا افعل ما تريد .. قلت لها أننى لا أستطيع ذلك من الأمام .. استمرت فى ابتسامتها الساحرة الساخرة وقد تحولت إلى ضحكة وانقلبت على بطنها وافترشت ذراعاها للإمام وطلبت منى أن أبدأ .. انتزعت العصا التى كنت قد خبأتها خلف هذا الكرسى وإنهلت على رأسها ضربا - بعد أن سميت اسم الله وكبرت - انفجرت الدماء من رأسها شلالًا

وتعرجت خطوطه .. على أرض الحجرة وأخذت ترسم أشكالا .. كانت دماؤها المتدفقة الداكنة قد إتخذت عدة مسارات متلاعبة متشابكة .. فى البداية شعرت بالارتياح .. ثم شعرت بالغبطة .. أخذت أُهلل .. وأبكى . ألقيتها من جديد على ظهرها .. جلست أتأمل مفاتنها بعد الموت .. بحثت عن تلك الحُمْرة المشربة فى بياض وجهها الملائكى الطفلى فلم أجد شيئا .. بحثت عن قوامها الممشوق فى انسجام واتساق بين الأرداف والأهداب .. فلم أجد .. بحثت عن ذلك النداء فى نظراتها المتوهجة .. فلم أجد .. بحثت عن تلك الابتسامة اللعوب تنادينى .. فلم أجد .. بل .. وجدت كل شىء قد مات فقط لسانها الذي تَعودتْ أن تْخرجه لى .. غير أنها لم تتمكن من سحبه سريعا إلى الداخل مثلما كانت تفعل .. ظلت خيوط الدماء تتجمع وتتشكل فى أشكال ثعبانية .. برزت حًية صغيرة من بين الدماء .. رفعت رأسها المدبب لأعلى .. أخذت تتضخم .. أصبحت الحية .. حيتين .. ثلاث حًيات .. أربع ..خمس .. امتلأت أرض الحجرة بالحًيات يرفعن رؤوسهن ويخرجن لسانهن الممتد فى استعداد للالتهام .. كلهن حيات حمراء .. التففن حولى .. تتراقص الحيات فى حركات بدأت بطيئة ثم تزايدت الحركات عنفا واهتزازا .. تقترب منى . أبحث عن مهرب .. يدرن حولى .. أبحث عن عصاى .. تتصاخب رقصاتهن لابد أنى ما أن أُلقى عصاى ستلتهم كل الحيات .. تاهت العصا .. خذلتنى عصاى .. ألم تكن هناك منذ قليل .. نبتت للحيات أذرع .. تلتف الأذرع حولى .. تريد الإمساك بى .. حاولت الهرب (قاومت .. ركلت واحدة بقدمى ، فافترشت الأرض

ميتةً . شجعتنى المحاولة ضربت الثانية ، استلقت على الأرض .. وأقسم لك - سيدى القاضى - كانوا حْيات .. لم أتبين أن لهن ملامح آدمية إلا بعد متن ..) .

إلا أن تكاثر الأذرع من حولى . استطاعت الإمساك بى .. قادتنى إلى أمامك أيها القاضى .. إلا أنى كلما كنت أتبين ملامحها الآدمية .. كنت أبكى . أبكى كما لم ابكْ من قبل .. كنت أشبع رغبة دفينة من قديم فى البكاء .. ربما كنت أعيش الطفل الذى كنته .. ولم أزل ..

هكذا .. سيـ .. سيد ..!!!

سيدى القاضى .. لماذا ذهبت وتركتنى .. سيادة القاضى .. السادة المستشارين السادة ..

أين أنتم ؟! أين ذهبتم ؟! أحان موعد الإعدام ؟! أين إذن هى المشنقة .. كيف اصدرتم حكمكم قبل أن تسمعونى .. صدقونى .. لم أقتلها من أجلى بل من أجلكم .. صدقونى .. أقسم ...

هامش :

كان المارة فى الطريق قد تجمع بعضهم .. بينما راح البعض الاخر يمصمص الشفاه ... ويمضى فى طريقه .

آمال التى كانت !!

وكأن زلزالا عنيفاً قد وقع .. رغم أن بلادنا ليست كثيرة الزلازل .. فقد تحلق بهما العديد من الزملاء ومحبى الاستطلاع والفضوليين ومروجى الفضائح .. فلم يكن لأحد أن يتصور .. ولو في الخيال .. أن يحدث ذلك .. وبين هذين بالتحديد .. وفى ذلك المكان .. على الأقل جبل الجليد الصخرى .. التى تحسب لكل خطوة حسابها .. لم تضبط ذات يوم تداعب أحدا فى تودد أو تبسط .. الأمر الذى جعلها أقرب إلي الغرور والتعالى منها إلى التواضع والتسامح وقد ذهب ذلك بالكثير من ملامح أنوثتها .. أو على الأقل لم يدع فرصة لأحد أن يفكر فيها من هذه الزاوية .. وكتلة النشاط الصامت الدائب العابس دوما .. قد يشتركان معا فى خاصية عدم الاختلاط والاندماج مع الزملاء .. وعلى الرغم من انهما .. ربما شوهدا يجلسان معا فى بعض المرات القليلة .. إلا أن أحداً لم يتطرق إلى ذهنه أن يكون هناك ما يريب .. إلا أن الزلزال قد وقع وتوقف دوران الأرض حول نفسها فتجمد الزمن وتوقفت عقارب الساعات فلم تعد تدور .. وتداخلت الأزمنة فى الأشخاص

وتضاربت الوجوه وتداخلت وكأنه يوم الحشر .. أمسك الابن برقبة جدته مطوحاً إياها فى غضب وخرج الأب من قبره وبرك فوق الحفيدة وائدا اياها فى حنق وغل كبير صابا عليها جام لعناته ، تجسمت زوجته من بين الاشباح بكل شراستها تغرس فى عروق الرقبة أظافرها .. سليطة اللسان لم تزل .. قدم إليها الفرصة على طبق من فضة .. كثيرا ما كانت تختلق الفرصة كى تنغص عليه حياته .. هواية عندها .. وربما كانت صفة وراثية .. إلا أن الفرصة هذه المرة جاءتها جاهزة ، تدافعت الالفاظ من فمها كمدافع الهاون في حرب لاهوادة فيها .. وكعادتها .. لم تترك له فرصة يستطيع فيها الرد أو الايضاح وكالعادة أيضا شل لسانه وأضرب عن الحركة .. فكثيرا ما كانت تخونه الحركة فى الوقت الذي كان يجب عليه فيه الحركة .. ولو دفاعا عن النفس .. كم تمنى ألا - يخذ له هذه المرة كذلك . فيوم ألمحت إليه أنها على استعداد لانتظاره حتي يتم استعداده للزواج .. ولم يكن قد فكر فى ذلك القفص الذى يدخلونه مختارين .. قد ترسبت فى أعماقه فكرة الحرية وأصبحت همه الأول .. وربما .. الأوحد .. ولكن .. لم يعهد من قبل أن يرد من يلجأ إليه .. ليس من طباعه .. بل أنه على استعداد للتضحية حتى بنفسه .. أن لجأ إليه أحد .. فكيف يرد من لجأت إلى حماه وارتمت في أحضانه ؟ كيف يحطم آمالها وهى التى لابد عاشت تبنى تلك الآمال والأحلام من حوله ؟ .. لابد أنه قد أصبح مركز اهتمامها وآمالها .. فكيف يحطم ذلك القلب المحتاج ؟ ..

(٢)

نهره صديقه فى نزهة بعد السؤال عن أحوال القلب .. أجاب أنه خال ويبحث عن ساكن .. واستغرب الصديق واستنكر .. كيف يستطيع الحياة بدون الحب .. اتجهت أفكاره إليها .. كانت يوما مشروع حب فى حياته .. رأى فيها مالم يره فى الأخريات .. وجد نفسه ينجذب إليها .. حاول أن يقاوم .. فى البعد عنهم كل الغنيمة .. وعندما كان يلعب مع فوزية فى السنوات الخضر .. كانت تنهره أمه .. إذ أنه ليس بنتا فكيف يلعب مع البنات .. وكان .. من ورائها .. يختلس الوقت للذهاب إليها وفى الجامعة بهرته العديدات .. حاول تجنبهن .. لم يسع إلى واحدة منهن .. وفى المكتبة .. أقتربت منه .. حاولت الأستفسار عن شىء .. أجاب فى اقتضاب .. لماذا من دون الجميع اختارتنى أنا ؟ أعماقه تتصارع .. شىء ما يجذبه إليها .. شىء ما ينفره منها .. تذكر قصة الطفل الذي تتنازعه امرأتان .. فحكم القاضى بجذبه من كلتاهما فى اتجاهين متضادين .. صرخت الأم .. فحكم لها القاضى .. وفى المرة التالية لم يكن من مفرمن الجلوس إلى جوارها بالمكتبة .. تعرفت عليه .. إنها معه فى نفس الكلية .. تسبقه بعام .. استنكر أن تمثل عليه دور الأستاذة .. استأذن فى الخروج .. لم تتوان فى الخروج معه .. لم يسبق له أن سار مع فتاة .. ولم يكن حتى هذه اللحظة .. يعلم لون عينيها أو حتى لون شعرها لم يكن يعلم على وجه الدقة .. أهى بيضاء أم سمراء لكنها فى النهاية .. فتاة .. والفتاة تحب أن يكون لها صديق .. ولم لايكون هو هذا الصديق .. إنها بالضرورة قد اختارته صديقا .. فقد

استأثرته دون غيره ممن فى المكتبة .. ولكنها تكبره .. تسبقه بعام دراسى .. وليكن .. أليس رجلا .. فأيا ما تكون لابد أن يكون رجلا وتكون هى فتاة .. اعتلت وجهه الحمرة وتلعثم في مطبات الخجل وهو يدعوها للخروج خارج الجامعة .. تعللت أن لديها محاضره .. طلب أن يكون اللقاء عند المساء .. غضبت وثارت .. زعمت أنه أساء الفهم .. ازداد اضطرابه وغطت الحمرة كل وجهه .. تساقطت حبات العرق على جبينه رغم ديسمبر ....

حانت منه التفاتة .. وجوه كثيرة من زملاء العمل قد تجمعوا ليروا مركز ذلك الزلزال المدوى في الإدارة .. استنشق بعض الهواء وعاد يغوص فى وحل الأيام .

(٣)

لماذا تلح عليه وتلاحقه رغم تلك الثورة والغضبة ، تشاغل فى أحد المراجع أمامه .. رآها عند باب المكتبة تبحث بعينيها .. لابد تبحث عنه .. لم يصدق أنها التى تهم بالجلوس إلى جواره.. لقد ظنها بالأمس المرة الأخيرة التى يراها فيها .. حاول أن يعتذر عن سوء الظن به .. إذ أنه لم يكن يعنى .. تعالت الكلمات فى أعماقها دون أن يسمعها .. هذا الأحمق .. ولماذا لم يكن يعنى .. تحركت الكلمات على الشفاه . لقد نسيت ما كان بالأمس ولايجب أن نعود إليه .. شعر أن الكلمات تسير فى اتجاه عكسى لمعانيها .. شعر أن رغبة قوية .. وقوة غير عادية تسوقه نحو الإصرار ..

ترجم اللسان ذلك الشعور .. أخبرها بأن لديه ما يجب قوله .

- هل أمسك لسانك أحد ؟

- هناك ما لايصلح للقول هنا ...

لم يصدق أنه هو الذى تحدث وقال هذه الكلمات .. ولم يعلم حتى هذه اللحظة من أين واتته الشجاعة التي أستطاع بها نطق هذه الكلمات ..

فى الشارع الجانبى كانت أستار الليل قد بدأت تنشر خيمتها على المخلوقات .. اندفعت يده إلي كتفها .. حاولت ابعادها بلطف .. وحتى هذه اللحظة لم يكن يعلم تلك القوى الخفية التى يجعلها تتصرف على غير المألوف منه .. أصر على بقاء يده فى محاولة جريئة للضحك .. تظاهرت بالمقاومة .. لم يكن لديه شك فى أنها مقاومة أقرب للدعوة منها إلي المقاومة .. حاول استثمار الموقف فى التقرب أكثر .. يجذبها إليه .. فى شبه احتضان .. تدافعت بعيدا .. يجرى وراءها فى الشارع .. تعالت الضحكات .. غمره المرح والمداعبة .. فى لحظة كلها مرح وقد غمرها التعب السريع جذبها إليه فى عنف لم تدرك أنها بها قد أصبحت فى أحضانه .. وجد نفسه ينتزع القبلة من خدها .. تسمرت مكانها وأشرأبت أذناها غمرت وجهها ملامح الدهشة والأستغراب والاستنكار والرغبة .. لم تنطق .. حملقت فى ذهول .. شعر أن شيئا عظيما قد حدث .. تعثرت فى حلقه هو الاخر الكلمات .. فإن شيئا لم يكن قد ورد على ذهنه .. مرت لحظات صامته طويلة .. وجدا نفسيهما قد عاودا

السير ببطء شديد نحو الشارع الرئيسى .. ليلتها .. لم يستطع النوم .. شعر بعدم التوازن ظل يبحث عن تبرير حقيقى لما حدث .. وكيف حدث .. وماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك .. لابد أنه اندفع دون تقدير للعواقب .. أتراها تعود إليه بعد ذلك ؟ أتراها تقبل العذر وتصفح ؟ أتراه قد فقدها نهائيا ؟ .. أليست فتاة مثل الأخريات ؟ ولماذا لاتكون سعيدة بما حدث ؟ ولماذا لم تنطق بأى كلمة حتى ودعته ؟ أتراها شاءت أن تتلاعب بأعصابه وأفكاره بهذا الصمت القاتل ؟ .. ليتها نطقت .. ليتها لامته أو حتى عنفته .. إنها لو كانت قد صفعته لكان قد عرف إلى أين يسير .. لكنها لم تفعل .. هل شل لسانها مثلما شل لسانه هو . وكيف يمكن أن يكفر عن هذه الجريمة ؟

أيمكن أن يكون الزواج ؟ .. وكيف يتزوج منها وهى تسبقه بعام دراسى ؟ وكيف يتزوج منها وقد اختارت أمه أحلام ؟

(٤)

وبعدها لم يكن يدرى أأصابه الدوار من المفاجأة أم من الفرحة عندما أخبرته بأنها .. أيضا . تشعر نحوه بقوة جذب تضطرها للسماح عن كل هفواته وأخطائه وحماقاته .. وأنها على استعداد لانتظاره مهما طال الانتظار ....

كالغريق الذى يحاول الخروج من الماء مجاهدا يستنشق بعض الهواء ثم يعود ليغوص فيه .. حانت منه التفاته من جديد .. إلى من حوله .. لم يكن يعلم .. على وجه اليقين .. ما الذى حدث بالضبط .. أو كيف

حدث .. أو ما يمكن أن يحدث .. تداخلت الخيالات وتضاربت الأوهام والأفكار .. أيمكن أن تكون آمال التى دفعته لذلك ؟ .. أنه يعرفها من سنين .. زميلة فى العمل .. لم يشعر فى يوم من الأيام نحوها بأى عاطفه من نوع خاص .. مجرد زميلة بل لقد كان فى كثير من الأحيان ينسى أنها امرأة .. ألم تكن الهمسات تقول عنها الجليد الصخرى ؟ .. لم نسمع عنها يوما ما يمكن أن - يشوبها .. ورغم قلة الوقت الذى يمكن فيه أن يكون بلا عمل .. مما جعلهم يطلقون عليه كتلة النشاط الدائب العابس الصامت .. إلا أنها كانت تختصه بعض الأحيان بالجلوس والإسرار إليه ببعض شكواها .. ربما كانت ثقة منها فيه .. وربما كان هناك سبب آخر لايدريه .. وكثيرا ما كانت تشكوه زوجها الغاضب السكير .. وكيف لم يكن يمنعه شيء من ضربها حتى أمام أولادها .. حاولت معه الكثير .. وتحدثت كثيراً إلى أهله وأهلها .. إلا أن شيئا فيه لم يتغير .. رغم بعد الزمن عن يوم زواجهما أصبح شبه المؤكد لديها أن حياتهما قد أصبحت مستحيلة .. ولكنها لاتملك أن تفعل شيئا .. إذ ما أن يعود إلى حالته الطبيعية حتى يؤكد أنه يتمسك بها ولايمكن أن يفرط فيها .. لقد احتارت فى أمره .. كان ينصت إليها فى اهتمام مبالغ فيه أحيانا .. ثم يلبس قناع الناصح المجرب فى محاولة للمواساة إلا أن مقارنة داخلية لابد كانت تتغير من تلقاء نفسها .. تحرك شجونه وتزلزله .. لم ير آمال يوما في ثورة غضب ..رغم الشكوى الدفينة فى أعماقها .. لم يكن أمامه إلا ذلك الحمل الوديع المسالم المستسلم .. كم حاول أن يبث آمال بعضا مما بين جنباته حتى ولو على سبيل التخفيف عن نفسه

وعنها .. إلا أنه لم يستطع أن يفتح ذلك الكتاب المغلق الذى كانه .. فلم يكن لأحد أن يضبطه متلبسا بالحديث عن نفسه .. ولم يره أحد فى أحد الرحلات التى تقوم بها المصلحة وتضم عائلات العاملين . فإن كان .. فوحده فقط .. ولم يكن لأحد أن يراه يوما يهزل مع الآخرين .. لم يكن لاحد أن يراه إلا يعمل .. وكم راوده السؤال الكبير الذى احتواه كيف تحول إلى كل هذه الكتلة الصماء ليس لديه سوى العمل .. والعمل فقط .. أين الطموح ؟ اتراه تحطم على تلك الصخرة الملساء .. أين الآمال التى عاش عليها والاحلام التى طالما بنيناها معا في تلك الأيام التى كانت ؟ .

وكثيرا ما كانت تتكرر تلك الجلسة مع آمال فى ركن الحجرة التى تضم مكتبيهما .. وكانت تشكو زوجها لم تزل .. وكانت على وشك البكاء .. هكذا شعر أنها على وشك البكاء .. حاول تكرار المواساة .. طلب منها الصبر والتجلد والطاعة ، وكان قد نفد صبرها بالفعل .. سئمت الحياة والنصائح والكلمات .. أصبحت الحياة من حولها كلمات .. هو يكلمها وينصحها .. ذوى قراباها .. يكلمونها وينصحونها .. حتى أبناؤها يكلمونها وينصحونها .. أصبحت هى الوحيدة فى العالم التى تحتاج إلى النصيحة .. وهى الوحيدة في هذا العالم التى لاتنصح .. وأوشكت الثورة أن تنفجر .. كاد البركان أن يخرج حممه وأعاصيره .. كادت أن تلقى بوجهه كل ما بأعماقها من ثورة ومن سخط وغضب .. شعر أنه على وشك الأنفجار .. وتوقفت الكلمات من جديد على الشفاة .. وكان ما فيهما يعبر عن البركان .. غير أن الكلمات لم تطاوعها .. ولم

تطاوعه .. تشكل الصمت بينهما جدارا عالياً لم يستطع أيهما اختراقه .. انغرست نظراتهما كل في عين الآخر .. تشابكت العيون في عناق حار طويل قاس .. فى جوع ونهم .. عناق لافكاك منه ..توقف الزمن بهما .. ولم يكن قد مر بعض من الثانية .. إلا إنها كانت أطول من الساعات .. لم يكن يعلم أن عيونهما معا يمكن أن يكون بينهما هذا الحديث الطويل الطويل .. لم يكن يشعر أنه يمكن أن يجد كل هذا الارتياح والاسترخاء بعد العناء الطويل على نظرات العينين .. فى العناق بلاعناق .. فى اللقاء بلا لقاء .. فى الارتواء بلا ماء .. الرغبة العنيفة فى عينيهما تجأر وتصرخ .. تئن وتنوء بحملها من آلاف السنين .. أول مرة يشعر أنها امرأة .. أن لها عينان تبوحان .. ونهدان رجراجان لم يترهلا لم تكن حقيقة تحمل تلك العناصر التى تجعل من المرأة الجميلة جميلة .. إلا أنها إمرأة .. تحمل من الأنوثة مالم تحمله كل نساء الأرض : اهتزت أعضاؤه هزات عنيفة وقد ظنها جدران الحجرة .. اهتزت شفتها السفلى وارتعشت .. تجسدت فيها كل نساء الأرض .. وتحولت كل النساء إلى ذئاب تعوى .. تضخمت شفتها السفلى وازدادت ارتعاشاً تراقصت كل الجنبات أمام عينيه رقصات هستيرية ماجنة ...

وحتى هذه اللحظة .. لم يعلم بعد .. كيف استقرت يده اليسرى حول رقبتها .. أو من الذى اندفع نحو الاخر .. وبكل عواء الذئبة .. بكل جوع السنين وحرمان الليالى .. وجد نفسه يلتهم الشفة السفلى ... وكيف غرقا فى هذا العناق الطويل .. الطويل ؟ ليس يدرى بعد .. من

الذى انتهك حرمة اللقاء وفتت صخرة الحلم الجميل ؟ كيف ذاب الجليد الصخرى تحت لهيب العناق ..

(٦)

ولم يكن يهمه فى الأمر ما يمكن أن يحدث له فى العمل .. حتى لو كان الفصل .. لم يكن يهمه ما يمكن أن تفعله زوجته .. أن علمت . حتى لو كان الأنفصال .. لم يكن يهمه ما يمكن أن يفعله ابناؤه .. حتى لو كان النكران .. بل لم يكن يشغله كثيرا ما يمكن أن يحدث لها هى .. حتى لو كان القتل .. كل ما كان يشل تفكيره ويزلزل كيانه ما يمكن أن يحدث من أمه .. أو لأمه إن هى علمت ما كان ؟

البـــركـة

تداخلت الأزمنة وعم الضباب واحتجبت الرؤية .. فلم يعد يرى المرء أبعد من موضع قدميه ، ولم يعد من اليسير أن يحدد المرء الصحيح من غير الصحيح .. نصحنى الكثيرون بالعرض على الطبيب النفسى .. فى البداية .. ترددت طويلا .. لقد ارتبط ذلك فى ذهن الكثيرين بمستشفى العباسية .. بالخانكة .. بالماناخوليا .. فكيف أذهب إليه سائرا على الأقدام ولست محمولا مثلما نرى فى الأفلام .. أننى أشعر جيدا أننى لست بمجنون .. وإن كنت فى كثير من الأحيان أشعر بأننى على وشك .. خاصة كلما تفكرت فى كيفية إنسياقنا وراءه بهذه البساطة .. وكلما كنت على حافة المعاناة .. كلما تجسدت صورته أمام ناظرى .. يطاردنى في كل مكان .. فى المدرسة .. على جسر الترعة فى عطلات المدرسة .. حتى فى المصنع الذى عملت فيه بعد التخرج .. لقد كان يأسرنى بحلو حديثه .. بل يأسرنا بعذب حكاياته .. رغم أننى لم أعد الآن أستطيع حتى تحديد المشاعر التى يجب أن أحملها له فعندما مات بكيتة كثيرا وبعدها .. ضحكت من نفسى كثيرا .. فقد كان صديق العمر إلا أننى لم

أزل أعتبره المسئول عن كل ما حدث ربما أكون قد انسقت وراءه فى تسليم .. وقد كان يعلم ذلك . وكان يحب كل منا الآخر .. لست وحدى ولكن المجموعة بأكملها .. (الشلةُ) كلها .. جمال عبد الرازق الذى عرفته من قبله ولازمنى (تختة) المراحل الأول من الدراسة .. محمد عطية الذى انضم إلينا قبل نهاية المرحلة الابتدائية .. سعيد عبد الرازق الذى لازمنا المرحلة الإعدادية .. رفعت الكومى وعبد المنعم سعيد اللذين انضما إلى (الشلة) فى المرحلة الثانوية ، وكنا جميعا لانفترق طوال ساعات النهار ومعظم ساعات الليل .

كنا جميعا نرتبط بعلاقة حب حميمة .. كنا إذا عقدنا العزم على اللعب .. كان هو الذى يتصدر اللعب .. وكنا نسلم له القياد طواعية .. حقيقة .. كان البعض فى بعض الحالات ينازعونه القيادة .. إلا أن الأغلبية كانت دائما معه .. وكم هى طويلة تلك الليالى المظلمة التي قضيناها معا .. لايدخل بطوننا سوى بعض حبات الطماطم أو بعض فحول البصل الأخضر .. وربما بعض من البلح المتساقط من نخيل أبناء الحى أو الأحياء المجاورة .. لم نكن فى حاجة إلى ضوء القمر فى الكثير من مغامراتنا أو لعبنا .. فقد كانت أقدامنا تعرف الطريق .



كنا يومها فى نهاية المرحلة الثانوية .. وكنا - لم نزل - نحلم فى ليالى أم كلثوم بالوجد والغرام ونطرب مع آهاتها .. كان الحماس يدفعنا إلى الفوران مع كلمات جاهين يتراقص بها صوت عبد الحليم .. كنا - لم

نزل - نعيش الحلم بالفيلا فى خلاء الصحراء نبدأ فيها عالما من الخضرة والنماء .. ولم نكن - بعد - قد كبرنا وكانت روح المغامرة تسيطر علينا عندما جاءنا مهللا : لقد عرفت لكم الليلة أكلة جديدة .. فلنخرج عن دائرة فحول البصل وعيدان الفجل وحبات الطماطم .. سوف نأكل الليلة عنبا !! .. لقد اكتشفت لكم تكعيبة عنب تكفى البلدة بأكملها ...

وقبل أن يسأل أحدنا عن مكانها . كان واضحا أنه قد عرف كل شيء عنها ، عرف كل التفاصيل التى توصلنا .. قال : هى فى بيت عبد العليم أفندى .. وهو رجل ينام بعد صلاة العشاء مباشرة ، البيت منعزل عن بقية البيوت ناحية الترعة ، بعده بقليل توجد تلك البركة التى ينزحون فيها مراحيض المسجد .

تحمسنا جميعا للخروج من مجموعة الروائح النفاذة ورحبنا بالسكريات ، لم يعارضه أحدنا ، وكأنه كان يقول أوامر لا تقبل المعارضة ، كان الشهر العربى يزحف نحو النهاية . وكانت طوبة قد بدأت مسيرتها منذ عدة أيام ، الليل قد قارب على الإنتصاف ، وبدأت مسيرتنا نحو التكعيبة .. لم نحدد لكل دور يلتزم به ، كما كنا نفعل من قبل . تدافعنا جميعا فى هجمة تتارية مغولية كما لو كنا لم نر عنبا من قبل .. وما أن تسلقنا التعكيبة .. ولم تكد أيدينا تصل إلى قطوف العنب حتى سمعنا صوتا يتحرك تحت التكيبية .. وما أن شعرنا به حتى تقافزنا مفزوعين هاربين .. إلا أن طلقا ناريا قد دوى .. ربما لتخويفنا .. ولم نكن نتصور أن الطلقة ستصيب جمال عبد الرازق ، فيصبح أول

ضحايانا .. لم يتوقف أى منا . تدافعنا جميعا ولا أحد يدرى أين يضع قدميه .. تساقطنا فى بركة نزح المراحيض .. منا من غمرته البركة حتى منتصفه . ومنا من سقط بها حتى شرب منها .. كل ما عرفناه بعد .. أن أحدنا لم يستطع أن يتخطاها .. فلوثت ملابسنا فأصبحنا شركاء فى قتل جمال عبد الرازق ، فكيف يستطيع أينا الإنكار وعليه الدليل ..

تفتت الشلة وتقوقع كل فى داره .. لم نعد نلتقى كثيرا .. ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفنا مرض رفعت الكومى فى صدره .. ولم يلبث أن رحل هو الآخر بهذا المرض اللعين .. ولم تكن قوة فى الأرض تستطيع أن تقنعنا بأنه لم يصب فى صدره منذ تلك الليلة .

وعلى الرغم من أننى لم أكن صاحب الفكرة ولاقائد المجموعة .. إلا أن شعورا بالذنب تملكنى ، ولم يفارقنى الوسواس .. أشعر بقذارة الملابس . ودائما أشم رائحة البركة فى أنفى .. وما إن أفرغ من الاستحمام حتى أشعر بالرغبة فيه من جديد .. وظل الشعور يطاردنى حتى وجدت ألا مفر ..

ترددت على الأطباء كثيرا .. وأكد الجميع عدم وجود أى أمراض عضوية .. نصحنى الكثيرون بضرورة العرض على الطبيب النفسى .. وشيئا فشيئا .. بدأت أقتنع بضرورة الإنصياع لنصائحهم ..

اللعبــة

فى البدء كانت كلمة .. وفى العين كانت بسمة .. وفى الركن كان مجلسنا .

فى البدء قالت : هلمَّ إلى .. وفى العين كان الاشتياق .. وعلى المقاعد .. كان الرجاء ، الورقة كانت جسداً بلا روح .. واللعبة كانت روحاً بلا جسد ، من بين الأوراق خرجت .. ومن بين الحشايا تكونت .. وفى عمق الفؤاد تكورت ، ولم أكن سوى عابر سبيل .. يبحث عن قوت للقلب .. يقتات النظرة .. ويستجدى البسمة .. ويؤرقنى المعنى .

فى ركن المقهى .. كان مجلسنا .. نغتال المارة .. ونفترس المرأة ، ونبحث عن الفكرة ، ونتوه فى المعنى .

قال : فلنلعب .

قلت : ما أنا بلاعب .. عشت العمر منزويا .. وقضيت أوقاتى منطويا ، على النفس أجتر الذكريات .. وبالدمع .. أستجدى الملمات .. وكأنى بها عشت ، ولها ولدت .

قـال : هى لعـبـة بسـيطة .. بعض من الأوراق ؛ يسـمـونهـا (الكوتشينة) نوزعها فيما بيننا ونعطى الأرض نصيبا .

قلت : بل للأرض كل الأنصبة ، وما بأيدينا ليس لأيدينا .

قال : إنها لعبة .

قلت : وما الحياة إلا لعبة .

قال : فلنلعبها

قلت : فلنجرب .. إن كسبنا .. فما كسبنا ، وإن خسرنا .. فما خسرنا .



وزعت الأوراق .. أربعة لكل ، وللأرض أربعة .. فكنت من نصيب الأرض - أشفقت عليك .. سألته أن يبدأ من جديد .. فأعاد الترتيب والتقسيم ، ثم كانت أربعة لكلٍ ، وأربعة للأرض .. فكنتِ أيضا من نصيب الأرض .. مشدودة إليها بحكم التنشئة . قلت : أنت متعمد ..

قال : قلت لك إنها لعبة ..

قلت : كيف تكون لعبة وهى للأرض .

قال : لابد أن تكون على الأرض ، ليأتِ (هو) وينتشلها .. فوجدته عندى بين الأربعة ، وكان بدون شارب .

قلت : وكيف يكون بلا شارب وهو الأعلى ؟!

قال : هى كذلك بدون شعر .. لكنها اللعبة .. عليك أن تأكل .. أن تأكل الواحد بالواحد والأربعة بالأربعة .. أما هى ؛ فلا يأكلها إلا مثلها .. وأما هو فيأكل الجميع .

قلت : وما هو إلا أنا ..وهى الضعيفة المستكينة .. ألقي بها إلى الأرض .

قال : واحدة على الأرض ، وثلاثة بين الأوراق .. فى المجهول - مخبوءات ؛ ولسنا ندرى أيها يمكن أن تلحق بالأرض أيضا ؛ وأيها يمكن أن تأكل أختها ؛ وأيها يمكن أن تأكل الولد ..

قلت : وكيف هى تأكل الولد ؟!

قال : هى اللعبة ، وهى حكمها .. هكذا يلعبونها .. وهكذا تُلعبْ



قلتْ والهمس مخبوء فى الأنفاس ؛ فليكن طالما هى اللعبة . وفى عينيك اشتعل النداء ، وفى أعماقى ، تحرك الرجاء .. أشعلت سيجارتى وعلى نارها اشتلعت نيران الأحشاء .. نطقت الحرف .. ووضعت الحرف جنب الحرف ؛ فكانت الجيم جنب السين تأتلف ؛ وبعدها .. كانت الدال تلتحف بنار العشق واللهفة .

عجبت لمرآك يجذبنى ، وفعل ما شكلت يشغلنى ، تناسيت فيك ما كنت .. وتسامت فيكِ أفكارى ؛ وآهة منك تقلقنى .. وكانت آهتى غير ما كَنت ، ألقيت عليكَ بردة الشوق .. فتطايرت منها آناتك الحرَّى ..

لتجرفنى وما أدرى ؛ مسوق بجوع أحشائى ؛ أم مدفوع بنهم أعضائى ، تبسمتِ وما أدرى .. بأن السم ترياق .



تنهد ، وقال : إلعب .. أما زلت لاتدرى ، أصول اللعبة ، وما تحوى ؟ !



أكلت الواحد بالواحد .. وابتلعت دخان سيجارتى تشكلت آهات عينيك لتحفزنى .. أمازلتَ تخشانى ؟ فقلت العوم لا أبغى ؛ فمالى فى العوم تجربة ؛ وما لبحورى شطآن .

فقلت : أنا البحر .. أنا الشطآن .

فقلت : بل .. أنتِ السجن .. وما أبغى لعالمي سجان ، عزفت اللحن يوجعنى ؛ فأحيا الموت في الأعضاء .

عجبت لخاطر طرأ .. أيسرى الدم فى الأوراق .. ونار الشوق فى عمرى .. لكل دمائى قد أراق .. فما بعروقى من دم .. يحرك ثورة الأعضاء فعشت العمر منزويا .. بلا نبض .. بلا أعضاء .. وكانت فكرتى عمرى .. ولحن الروح ترياق ..

عشقت الروح فى جسد .. وما الأعضاء فى بالى .



قال : أما زلتَ لا تدرى ؟ أفى كل مرة أقول لكَ إلعب .. أكلت اثنين باثنين .



نظرت إليكِ نظرة واحدة . تناهت منك أغنيتى أقول الآهة .. توجعها .. فترجع منك آهات . نسيت الكل من حولى .. خشيت عليك من اللظى .. وفعل الشوق حراق .. نسيت الروح فى زمن ، وما نسيت إلا وجودى .. رشفت العيش في شفتيك .. ورضاب القلب يؤلمنى ؛ بوخز من وجيب الوجد ظمآن ، فلما أن علمتِ مدى شدّى .. إليك .. وعمق أحزانى .. فعدتِ لأصلك الأول .. وريقة على الأرض صماء .

وجرفتنى فى تيار بحرك هادر ريشة فوق أمواج الخيال خريف .. تقافزنا فوق الأرض لاندرى .. أرخوة كانت ... أم تحت التراب الطين .. لحظة كانت .. بعدها خضنا .. فى عميق سُبات أم فى عميق الطين . لاندرى سوى أن الظلام حل .. وفى عالم جد غريب .

بلاّعة كانت ، ومجرى كبير .. ولم يكن من أحد سوانا .. وذلك اللزج القريب . ضممتنى إليك ... وفى الأوصال .. سرى التنميل .. قلتُ : أشم رائحة كريهة .. تزكم أنفى . قلتِ : عطورى تغطيها .. وآهتى حرّى .. والشوق يكفيها .. كى تنسيك عالمك ، وآلام كثيرة فيها ، عندى الدواء لكل مشكلة .. تؤرقك وتجهل ما فيها ؛ عش ولاتحزن .. فعمر المرء .. لحظة كان الهنا فيها ..فغبُتَ وغيْبتُ .. كم من الأزمان ؟

وحده يعلم .. كم مضى فيها .. رويدا .. رويدا .. ألفت عينى الظلمة ، وراح بصيص من نور يكشف عن أبعاد ما حولنا .. وعن قريب ، كان يقف مشدوها فى ترقب وانبهار .. غشينى الدوار.. وترنحتُ .. من فعل ما كان أم من فعل ما حولى ..لست أدرى . كم من الوقت مضى أو كم من العمر انقضى ؟! كل ما أدريه أنى أيقنت أنى صرت وحدى .. بعيدا أو قريبا .. كانت هناك معه .. فى خجل مصطنع كانت تسلط إليه النظرات .. أعرفه جيدا .. إنه ولد الكوتشينة الذى كان بيدى .. تقترب منه فى نداء مغلف .. يندفع نحوها .. تتراجع إلى الخف .. يقترب ..تضع يدها ما بينه وبينها .. يستجدى القبلة .. تتمنع .. تشتعل النيران فى الوجدان .. يزداد رغبة .. وأزداد حنقا .. تهم أن تمنحه القبلة .. تتراجع إلى الوراء .. أحاول أن أصرخ .. ابتعد أيها المجنون .. تمنحه واحدة لا حياة فيها .. أريد أن أحذره ؛ احذره منها .. فهى حية تسعى .. يختنق الصوت .. أريد أن أقول ابتعد ففى القبلة سم طويل المفعول .. تتسرب المياه اللزجة إلى حلقى ، ابتعد .. أنى أخاف عليكَ . يقاوم الصوت فى حلقى .. تتثاقل أعضائى .. أشعر أنى أتثاقل .. تقترب المياه اللزحة من الفم .. الرائحة تكتم أنفاسى .. أقاوم .. المياه اللزجة تتسرب إلى الفم .. الرائحة تتكاثف .. تنظر إلى فى بسمة صفراء تحمل الحسرة والشماتة ... تتحول النظرة فى عينيها إلى انتصار .. أسلم نفسى إلى الاحتضار ..



قال : وزعت الأوراق من جديد .. وها أربعة لك .. لتبدأ فى الأكل من جديد ..

قلت : وكيف لى أن آكل .. وحلقى فيه مافيه .. مياه لزجة .. وروائح ضاغطة .. تنسينى لذيذ الأكل .. طعم الخيانة فيه .



رشفت سيجارتى نهما .. أمص دخانها عطشا .. بحثت عن الأولاد بالأوراق .. واليك رميت مغتاظا ، بهم فرحتِ .. وقلت تؤنسنى .. فى وحدة القلب والظمأ .. وقلت ها آنذا .. أنا إنسانة يجرى فى عروقها عطش ، يسرى دون إرواء .. أَنا الإحساس ما بقيت ، فيكَ أصول إنسان فقلتْ بل أنتِ عصير الأرض جئناها ، فقد كنتِ بلا روح ، بلا معنى .. وريقة كنتِ من بين أوراقى ، .. بلا معنى .. وريقة كنتِ من بين أوراقى .. لزمتِ الأَرض مذ كنتِ .. وعشتى فيها .. ولازلتِ .. ماكنتِ إلا صنعة من هواى ومن جنونى .. ولقد برئت من الهوى ومن الجنون .



زفر الغيظ من الأعماق .. ولملم ، مبعثر الأوراق . وقال : ليس لك فى لعبة الأوراق



ألقيت سيجارتى على الأرض .. وكل الغيط يدفعنى .. وفركتُ بها قدمى .. فكانت بقايا .. مع الرياح تتناثر .. وقلت : إنها لعبة بلا

معنى .. ولا مبنى .. أضعنا بها عمرا .. وعمر المرء بلا حرف ، هو المعنى .

الثعبان

فى اليوم التالى لليلة الزفاف .. أثنت «ماجدة» كثيرا على الليلة بينما كانت تعد مائدة الإفطار . ولكن .. ودائما هناك ولكن .. ولو لم تكن هناك «ولكن» لما تنغصت الحياة .. ولكن السلم .. المسافة بعيدة جدا حتى نصل إلى هذا الدور .. نحن أقرب إلى السماء منا إلى الأرض .. هكذا قالت «ماجدة» .

حاولت توضيح الأمور من جديد .. فالعثور على شقة فى هذا الزمان ، يعتبر الحصول على العنقاء أيسر منه .. وعندما بنى أبى هذا البيت ، لم يتمه دفعة واحدة .. فلم يكن ذلك بمقدوره . لقد استغرق ذلك العمر كله .

استقر الطلب فى الأعماق .. رغم ظاهر الرفض لصعوبة التنفيذ .. ولكن الله علام بالسرائر .. فما هى إلا بضع شهور حتى توفى الساكن الوحيد فى الدور الخامس .. الذى يلينا مباشرة .. اشترك الجميع معنا فى تجهيز الشقة الجديدة .. لم يستغرق الأمر كثيرا .. إفتتحنا الشقة الجديدة كما لو كنا نبدأ حياتنا الزوجية من جديد ..رحنا نفكر .. ماذا

نفعل بالشقة العلوية .. أنؤجرها لساكن جديد كما هى ، أم الأفضل أن تكون مفروشة .. ولكن شقة مفروشة واحدة .. إنه مشروع صغير .. وتأجيرها شاغرة سيُجعلها ملكا للساكن الجديد.. فكرنا أن نقيم سلما بين الشقتين .. نجعل من الشقة السفلى فيه للمعيشة والشقة العلوية للنوم .. غير أننا أرجأنا المشروع إلى أن تتيسر الأمور .. أو أن يأتى الأولاد .

لم تكن تخرج كثيرا .. رغم الشقة الجديدة .. إلا أنه ما أن تصعد حتى لاتهبط مرة أخرى .. لاحظت أن وزنها قد بدأ يزيد بطريقة ملفته .. فى البداية ظننت أنه مشروع حمل .. فرحت ... غير أن الأيام تمر ولاشىء جديد .. فاتحتها فى الأمر .. قالت أن السلم عال .. وركبتىَّ لم تعودا قادرتين على تحمل الصعود والهبوط .. بدأت التفكير .. أيمكن أن يجد الإنسان شقة فى هذا الزمان ؟!

وكانت الفرصة .. ساكن الدور الرابع وزوجته المسنين ، لم يكونا يصران على أخذ إيصال الإيجار .. فقد كانا يعرفان أبى ويسكنان منذ انتهائه من بناء هذا الدور .. وجاءت الفرصة أرسل أحد أبنائهما من السعودية فى طلب إقامتهما معه لبعض الوقت حتى يأتى موسم الحج .. إتفقت مع المحامى .. وقبل أن تتم أيام الحج .. كنا نؤثث الشقة الجديدة فى الدور الرابع .

ولم تكن تبخل علىَّ بالعطف والحنان .. وأصبحت حياتنا عطاء .. حولت « ماجدة » أشواك القفار زهورا تبعث بأريحها فى جنبات الحياة ..

فكرنا فى الأبناء .. فكرنا ماذا نفعل بالدورين العلويين . لابد ألا يقل الأبناء عن سُبعة .. الأبناء عزوة . الأبناء زينة .. فلنبق على الدورين .. أزمة الإسكان طاحنة ولا أحد يستطيع إيجاد السكن فى هذا الزمان .. فلنبق على الشقتين للأبناء .. ولكن .. الأبناء كيف وقد أصبح وزنها يزداد بصورة تهدد الأبناء ؟!

إنها لم تعد بقادرة حتى على صعود الدور الرابع .. إلا أن هذا الوزن كله لم يكن سوى كتلة من الحب والحنان .. ولم يكن عائقا فى أن تسير الأمور كما تسير مع الآخرين .. لقد سقتنى من الحب ما إن توزع على القطر .. لفاض منه الكثير .. وإن كانت تغرس شعاع نظراتها فى عينى حتى تسيل جبال الثلوج فى أعماقى فاسبح فى بحور الوجد والهيام .. وما إن كانت تحتوينى بين ذراعيها حتى أغوص فى تلال ثناياها .. فأشعر بدفء يخدر أوصالى .. وتستحيل كتل اللحم فى أعضائها إلى نسمات طرية تحمل تغريد العصافير وأريج الورود .. فتجعلنى أنام كالمُنَومِ .. لايدرى ما يُفعل به ولابها .



وعلى الرغم من ثقل وزن حبيبتى إلا أن صعود الدور الرابع لم يكن يمثل لها عبئاً كبيرا .. إلا أنها خشيت أن يؤثر ذلك علىّ أنا .. لابد أنه مع تقدم السن .. لايستطيع المرء أن يصعد درجات كثيرة من السلالم .. كما أن ذلك يؤثر بالضرورة على كفاءة المرء .. كانت تقول .. فأقول وكيف السبيل إلى ذلك وقد انقطع حتى إيراد الشقتين العلويتين ،

وما من سؤال إلا وله عندها إجابة .. فاندفعت تشرح الفكرة ..

إن ساكن الدور الثالث يعمل بالسكة الحديد . عنده من الأبناء خمسة .. وأنت لك من المعارف من يمكنه نقله إلى أقاصى الصعيد .. وهناك .. لايستطيع إيجاد شقة إلا بمبلغ من المال ويمكن أن نعطيه نحن هذا المبلغ ..

ويوم أن كان ساكن الدور الثالث يحمل أمتعته .. لم أكتف بالوقوف معه .. بل حملت معه على كتفى الكنبة الكبيرة .. ولم يستغرق تجهيز شقة الدور الثالث لسكنانا كثيرا .

وازداد شوقى إلى الأبناء .. لم يأت منهم أحد بعد رغم تباعد الأيام بيننا وبين ليلة العمر .. وكلما حدثتها عن الأبناء كلما أخذتنى إلى دفء حضنها فأنسى كل ما يدور حولى من صخب وضجيج . آه لو تحول هذا المكان إلى فندق .. إنه مشروع ممتاز .. عادت من جديد تدير الأفكار وتقلب الأحلام .. وهذه المشروعات الآن تربح كثيرا .. حتى لو اقتصر على الوافدين العرب .

أعجبتنى الفكرة وسحرتنى طريقتها فى الوصول إلى الأفكار العصرية .

ولكن كيف يمكن التخلص من ساكني الدور الأول والثانى .. تساءلت فى رغبة حقيقية للبحث عن مخرج وعلى الفور كانت الإجابة على شفتيها :

وهل يعجز أصدقاؤك فى استصدار أمر بالهدد .. البيت آيل للسقوط !!

ولم تستغرق إجراءات استصدار القرار بالهدم والإزالة سوى بعض الأشهر .. ولم أكن قد فكرت فى كيفية الإقامة إذا ما أزيل البيت .

وكما أن لكل مشكلة عندها ألف حل .. ولم نكن لنستطيع بناء الفندق وحدنا .. واستدعت شقيقها من السعودية كى يشاركنا مشروعنا .. وإلى أن يتم البناء كان لابد من حجرة مؤقتة تقام علي جانب من الأرض تمكننا من متابعة الهدم والبناء ولم تكن الحجرة محكمة الإغلاق .. ففى ليالى الشتاء .. كانت الريح تزحف من تحت الباب .. وعندما أتى الصيف كان الهدم قد تم .. وبدأت أعمال الإزالة تمهيدا لوضع اساس الفندق الكبير .. لابد سيكون كبيرا .. وأفضل فندق فى المنطقة .



ولم يكن حر هذه الليلة من يوليو يطاق .. فتحت الباب قليلا .. وبدأت نسمة خفيفة تسرى فى بدنى فتخدر اعضائى .. فبدات أستسلم للنوم .

ظننت فى البداية أنها قد بدأت تداعبنى عندما شعرت بمداعبات على ساقى .. كأن شيئا يزحف ... فما كان بى من حاجة .. إلا أن النوم اندفع بعيدا عنى .. لا يمكن أن تكون هى .. إن شيئا ما يزحف على

وهل يعجز أصدقاؤك فى استصدار أمر بالهدد .. البيت آيل للسقوط !!

ولم تستغرق إجراءات استصدار القرار بالهدم والإزالة سوى بعض الأشهر .. ولم أكن قد فكرت فى كيفية الإقامة إذا ما أزيل البيت .

وكما أن لكل مشكلة عندها ألف حل .. ولم نكن لنستطيع بناء الفندق وحدنا .. واستدعت شقيقها من السعودية كى يشاركنا مشروعنا .. وإلى أن يتم البناء كان لابد من حجرة مؤقتة تقام علي جانب من الأرض تمكننا من متابعة الهدم والبناء ولم تكن الحجرة محكمة الإغلاق .. ففى ليالى الشتاء .. كانت الريح تزحف من تحت الباب .. وعندما أتى الصيف كان الهدم قد تم .. وبدأت أعمال الإزالة تمهيدا لوضع اساس الفندق الكبير .. لابد سيكون كبيرا .. وأفضل فندق فى المنطقة .



ولم يكن حر هذه الليلة من يوليو يطاق .. فتحت الباب قليلا .. وبدأت نسمة خفيفة تسرى فى بدنى فتخدر اعضائى .. فبدات أستسلم للنوم .

ظننت فى البداية أنها قد بدأت تداعبنى عندما شعرت بمداعبات على ساقى .. كأن شيئا يزحف ... فما كان بى من حاجة .. إلا أن النوم اندفع بعيدا عنى .. لا يمكن أن تكون هى .. إن شيئا ما يزحف على

ساقي .. وما أن نهضت مسرعا وما كدت أبحث بيدى عما يتحرك حتي خرجت منى صرخة عالية .. لم أستطع كتمانها .. وكانت النار تسرى سريعا فى عروقي .. وألم ورعب يتخلل إلى دمائى .. بصوت مكتوم طلبت إليها إضاءة النور سريعا .. لم تستطع أن تكتم صرختها المفزوعة عندما شاهدتْ الثعبان بهذا الحجم .

تسمرت بلا حراك وكأن أجولة الرمل قد علقت بساقيها .. لم تستطع أن تفعل شيئا .. بينما كان السم يواصل سريانه فى العروق .. ويسرى معه خدر غريب فى الأوصال .

ليلة الزفاف

لم أكن لأصدق ما حدث .. فقد طال الزمان وانقطع الأمل .. غمرتني الفرحة حتى نسيت ما أنا فيه ، وما يدور حولي - رغم مأساويته - واستحال الزمن برهة ، وتجمع الكون في نقطة ، وانقشع الغمام عن ذلك اليوم البعيد ، يوم أن كنت أتمايل طربا بين المدعوين في مرح ونشوة وأنا أحتضن عروستي بين يدي وكأني أملك العالم أجمع . شاءت الأقدار - أخيرا - وبعد طول إنتظار أن تصل السفينة إلى الشط بعد طول إبحار - تخبطت بين الأمواج وتلاعبت بها الأنواء وتقاذفتها الأيام ولكن .. ها هي سفينتي تصل أخير إلى شط الراحة والأمان .. لم يكن هناك فرقة موسيقية - فلم تكن الأحوال المادية تسمح بذلك الترف - .. جهاز التسجيل يؤدي الواجب وأكثر .. ورغم أن الأغنية لم تكن مناسبة ، إلا أن موسيقاها كانت تفيد كثيرا وتؤدي المطلوب .. فعلى أنغامها المتراقصة رحنا نتراقص في مرح وبهجة - لقد كنت أحب عبد الحليم كثيرا - وكم كنت أعشق أغانيه .. حنطبل لك كده هو .. ونزمر لك كده هو .. يا عديم الإشتراكية ، يا خاين المسئولية .

ويتمـايل الجـميع وتزغـرد أصـوات الطلقـات تحيـة وابتـهـاجا .. وتتـراقص فى داخلى الأحلام والرؤى .. أخـيـرا أصـبحت «ميـرفت» لى بحق .. أخيـرا إمتلكتها .. وأستطيع أن أبثها لواعج نفسى المشتاقة .. أقرأ فى عينيها سطور الشوق والحرمان ، وأكتب فى عينى قصائد الوجد والحنان .. وتخترق طلقات الرصاص المسامع والآذان .. و .. ولم أنتبه بعدها إلا على سرير أحد حجرات المستشفى .. الجميع يحيطون بى .. يومـهـا أدركت مـا حـدث ، حين حـاولت أن أحـرك يدى أو سـاقـى .. لم أستطع .. أحاول سـؤال من حـولى .. اللسـان هو الآخـر لا يقـوى على الحراك .. العيون من حولى تترقرق فيها الدموع .. تنخرس الألسن فلا أحد يجرؤ على تفصيل ما حدث .. فليتكلم أحد .. كيف حدث .. أو حتى لأتأكد أن حاسة السمع لم تزل عندى أم تراها قد ذهبت هى الأخرى .. جبال الرمال قد شدت لسانى وعاقـتـه عن الحركة .. تعتـمل الحركة بداخلى .. يفـور الداخل ويغلى .. ويتـضـخم السـؤال .. أنظر إلى ذلك الجـسـد الممـدد على السـرير وأبحث عن رابط يـربطنى به .. انقطعت العـلاقـة بينى وبينه .. وأغـيب عن الوعى ، فلم أعـد أرى المحيطين بى أهو الموت ؟ أم أنهـا سكراته .. أم ترانى فى حلم مـزعـج .. ربما أدرك بعض الهـمـهـمـات .. وربما أسـمع بعض الطلقات .. وربما أحس بإحداها تخترق ظهرى . ليس هناك ألم .. فـقط خشـخشات تمزق العظام وكأنى أشاهد فيلما .. يمزقنى السؤال ويرهقنى البحث ويضنينى الشتات .

ومن جديد تبصر عـينى .. أستطيع تحريك حدقـاتها .. وتقـترب «مـيرفت» من وجـهى أشم أنفـاسـهـا .. نعم هى «مـيـرفت» أسـتطيع أن

أستنشق أنفاسها فتسرى فى أعماقى لتوقظ الموات .. الدموع تتراقص فى عينيها .. لم تعد بفستان الزفاف !! تحاول أن تضع قبلة على جبينى .. لا أستطيع أن أفعل مثلها ..وتسقط دمعة دافئة على وجهى .. تمد يدها لتزيل آثارها .. إلا أنى أراها وقد حفرت حفرة فى وجهى أزالت الدمعة من على الجبين .. وظلت الحفرة تحت العظام .. وأنا .. لا أملك حتى السؤال .

أيام ربما كانت طويلة .. لم يحدثنى أحد .. رغم محاولاتى للحديث والتي كانت لاتغادر شفتى .. لم أر غير الدموع فى العيون .. أحضروا عربة بعجلات .. دفعونى بها إلى البيت .. بيتى الذى كان مجهزا لأن يتم فيه الزفاف .. وساهم الجميع فى نقلى منها إلى السرير من جديد ..



انسحب الجميع بعد فترة ، وبعد أن حدثوا ميرفت كثيرا .. وجه البعض إليها بعض النصائح والتوجيهات .. وما أن خلا البيت علينا حتى تحولت الدموع البراقة فى عينيها إلى نهر منساب .. وراحت تبكي فى مرارة .. تبكى وتبكى .. وتنتقل المرارة إلى أعماقى . إننى مازلت أشعر .. ولا أستطيع حتى أن أمسح دمعها .. وأدركت تماما أنى لم أعد أملك إلا الرؤية والسمع ..



أصبحنا نقضى الليالى معا ، هى تتحدث ، وأنا أستمع فى صمت ولا أملك إلا تحريك عينى .. أصبحت تدرك تماما ما أريده وما أقوله من عينى .. أصبحت لغة الاتصال بيننا هى نظرات عينى .



لم يكن يزورنا فى تلك الأيام كثيرون .. وكم وددت أن أعتقها .. تمنيت لو أستطيع أن أخبرها أنها حرة .. حاولت جاهدا أن أنطقها .. إلا أنى لم أتبين على وجه اليقين .. أفَهِمتْ رسالتى وتجاهَلتَها ، أم أنها لم تصل ؟! ما الذى يجعلها تعيش مع تلك القطعة الحجرية التى لا حراك فيها ؟! ما الذى يجعلها تجلس طوال هذه الليالى تتحدث وكأنها تحدث نفسها ؟! تصب كلماتها فى تلك الأذن المفتوحة التى تتلقف الكلمات تصهرها وتحيلها مشاعر وتدفقات .. حتي البقية الباقية من الأخوة والأصدقاء الذين لم يزالوا يزوروننا .. لم أعد أرغب فى زياراتهم . حتى تلك النزهات التى كانت تضعنى فيها فى السيارة ذى العجلات وتدفعنى بها فى الشوارع .. لم يعد بى حاجة إليها .. وما كان يزورنا زائر ويرغب فى الخروج .. حتى توديعه .. لم يعد بى رغبة فى أن تسير معه حتى الباب .. حتى أصبحت بركانا يغلى .. ويظل يغلى ويغلى .. لماذا لم تخترق الطلقة ذلك الجزء المتبقى من الظهر لتنهى المسألة بأكملها ؟! ولماذا توقفت عند هذه النقطة بالذات .. لتتركنى غير ميت .. غير حى ..



وعندما كانت تخرج فى الصباح .. لم أكن أجد من عزاء وسلوى عما يعتمل فى جوانيتى غير الراديو والتليفزيون .. وكم كان يطربني صوت « المطربة » عندما كانت تغنى «وأنا على الربابة باغنى» .. لم يعد صوت عبد الحليم هو الأول .. تنحى إلى الظل ليترك للمطربة عرش طربى ، فكم كانت تحمل من ذكريات بعيدة .. حتى أن «ميرفت» التي مضى على عرسها أكثر من ست سنوات ، وهى تتفانى فى خدمتى - كما أرى - بينما أعماقى تفور بعديد من الأشياء .. سجلت لى هذه الأغنية على شريط كاسيت عدة مرات .. وكثيرا ما لم أكن أنام إلا على كلماتها حتى فى تلك الليلة ..

وكانت قد أفرغت كل ما عندها من أحاديث وما لاقته فى يومها ، صبته فى أذنى ، ولم تتلق منى غير الموافقة أو الاعتراض .. بنظراتى ،، وما أن بدأت تنام حتى أدارت لى شريط الربابة .



فى البداية توهمت أن ما أسمعه وهم وخيال .. حاولت أن أوقف الشريط حتى أستبين الحقيقة .. غير أنى لم أستطع .. حاولت البحث عن «ميرفت» غير أنى لم أستطع .. وكان الصوت يقترب .. الحركة تزداد وتقترب .. هناك شخص بالبيت .. هناك من يعبث بأشياء البيت .. إنفتح باب الحجرة .. شاب طويل نحيل ملثم .. فتح دولاب الملابس .. يبحث عن ما بداخله ولا حراك .. يجمع كل ما يلاقيه فى بؤجة أعدها .. ولا أستطيع الحراك .. لابد أنه يعلم عنى وعنها الكثير ولا

أستطيع الحراك .. إنه لا يعبأ بى .. ولا بها .. لا . إنه يتجه ناحيتها .. لا .. إلا هى .. أريد أن أوقظها .. يقترب منها .. أريد أن أهزها .. ولا حراك .. مالها لا تستيقظ ؟! ما لها لا تشعر بما يدور ؟! لا يعبأ بوجودى .. يقترب أكثر .. كأنما لا يرانى .. أخيرا إنتفضت مذعورة .. يحاول الإمساك بها .. تصرخ .. تتحرك أعماقى .. تحاول ضربه .. ينفجر البركان بداخلى .. تتصاعد شظايا .. تقاومه .. تزداد صراخا .. افتح فمى .. أفتحه عن آخره .. تتقاذف الحمم منه تأوهات مكتومة غير مسموعة .. أشعر أننى أتحرك .. غير أنى لم أتحرك .. أريد أن أصرخ .. أن أفعل شيئا .. تخرج الصرخة منى .. نعم .. خرجت منى صرخة .. شعرت أنه تسمر قليلا مندهشا .. نظر إلىَّ قليلا ، وكأنما الصاعقة دوت فى أذنيه .. تركها إلى أحضانى .. نامت على صدرى .. تحاول أن تحتضنى .. تبكى .. تهذى أن أتكلم .. نعم خرجت منى الصرخة .. تبكي .. تبكى .. ربما تبكى خوفا ، غمرتنى الفرحة .. حتى نسيت ما أنا فيه ، وما يدور حولى - رغم مأساويته - فأخيرا صرخت .. تحرك لسانى .. وإنزرع الأمل من جديد - .. إذا كان قد تحرك لسانى ، فلابد يوما ستتحرك أعضائى .. ستتحرك .. بل .. ربما تحركت قدماى .. واستطعت أن أسير .. أن أمشى .. أن أفعل شيئا .. أى شىء .

المحتويات

صدر من الكتاب الأول

١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة فى تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سراً	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلامونى
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصليحى
١٠ - لكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطيه حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدى أبو كيلة
١٥ - الأسماء لا تليق بالأماكن .	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر
١٧ - ناقد فى كواليس المسرح	دراسة	مصطفى عبد الحميد
١٨ - أطياف شعرية	نقد	عبد الله السمطى
١٩ - أنا	نصوص	غادة عبد المنعم
٢٠ - سارق الضوء	قصص	ليالى أحمد
٢١ - رجع الأصداء	نقد	جليلة طريطر

٢٢ - شروخ الوقت	شعر	ماهر حسن
٢٣ - أغنية للخريف	قصص	عاطف فتحى
٢٤ - بائع الأقنعة	مسرحية	صلاح الوسيمى
٢٥ - أفراخ الحمام	قصص	شوقى عبد الحميد
٢٦ - كوجهك حين ارتحال الصباح	شعر	خالد حمدان

لجنة الكتاب الأول :
غير ملزمة بأعادة أصول الأعمال إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

المـــؤلف

- شوقى عبد الحميد يحيى
- حاصل على بكالوريوس تجارة القاهرة ١٩٧٢
- قدم له بهاء طاهر العديد من المحاولات القصصية والآراء النقدية فى البرنامج الثقافى بالإذاعة .
- نشر مقالات ودراسات فى القصة والرواية فى الكاتب والهلال .
- تحت النشر « الممنوع من السفر » مجموعة قصصية .
- يعد للنشر :
  - المجموعات الأولى - دراسات فى القصة القصيرة .
  - يونيو وأدب الحرب فى الرواية المصرية - دراسات فى الرواية .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٧٦٢ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 970 - 7)